الإنحاء ومكانة التّغيّر اللّغويّ في المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة

د. منتصر أمين عبد الرّحيم
أستاذ اللّسانيّات– جامعة الطّائف

تقدمة

لما كان «التّغيُّر» سمة عامّة، لكل لُغة منه نصيب يزيد وينقص، فقد استدعت مقاربته البحث عن جهاز تفسيريّ يُخضع التّغيُّرات المختلفة الّتي تصيب ألفاظ اللُّغة وتراكيبها ودلالاتها ووظائفها لقوانين تحكمها وتبرر أحوالها ومصائرها، ومما لا شك فيه أنّ صناعة معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة –يتعقب تغيّرات ألفاظها وتراكيبها ومعانيها في مراحلها الزّمانيّة وبقاعها المكانيّة المختلفة - تتطلّب باتفاق المعجميّين المختصين توجيه العناية إلى الدّراسات اللّسانيّة التّاريخيّة لاسيما الّتي تهتم بدراسة التّغيُّر اللُّغويّ وتحاول الوصول إلى الأسباب (اللُّغويّة وغير اللُّغويّة) الّتي تقف وراء تلك التّغيُّرات؛ ذلك أنّ أغلب الخطط الموضوعة من أجل بناء المعجم المنشود لم تقدم حديثًا مفصلًا حول ظاهرة التّغيُّر اللُّغويّ، يقول الدّكتور «عَلي القاسميّ»: «إنّ كتاباتنا الرّاهنة عن صناعة المعجم التّاريخيّ للُّغة العربيّة لا تتناول قضية التّغيُّر اللُّغويّ بصورة وافية، وتغفل ضرورة أنْ يزودنا المعجم التّاريخيّ بالأسباب الّتي أدت إلى وقوع التّغيُّر في مبنى اللّفظ أو معناه أو استعماله، والقوانين العلميّة الّتي تحكم ذلك التّغيُّر»[1]، ولعل التّأكيد على تضمُّن المعجم التّاريخيّ المنشود معلومات حول أسباب التّغيُّر اللُّغويّ والقوانين الّتي يلبيها أو تضبطه هو تأكيد على الوظيفة التّفسيريّة أو قل الجانب التّبريريّ من هذا المعجم حيث «تتمثّل وظيفته الأساس بإبراز مراحل التّطوُّر الشّكليّ والدّلاليّ وتبريرها»[2]؛ ومن ثمّ كانت حاجة المعجم إلى دراسات لِسانيّة تاريخيّة تستطيع أنْ تقدّم له ظواهر التّغيُّر اللُّغويّ المختلفة مدعومة بالجهاز المفاهيميّ والاصطلاحيّ الّذي يمكّنه من تبرير مثل تلك الظّواهر.

---

1) انظر دراسة د. علي القاسميّ: معالجة قوانين التّغير اللُّغويّ في المعجم التّاريخيّ، ضمن الإصدار الحالي.

2) د. عبد الرّزاق بنور 2014: التّلازم الدّلاليّ والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخيّ للّغة العربيّة»، الدّوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، الطّبعة الأولى، ص114. وقد ضرب الباحث عدة نماذج من المعاجم التّاريخيّة السّابقة تؤكد على الوظيفة التّبريريّة للمعجم، فذكرت أنّ المعجم التّاريخيّ الفرنسيّ «لم يكتف بعرض فعل voler باعتباره من المشترك اللّفظيّ كما عرضه معجم الأكاديميّة الفرنسيّة بمدخلين، أحدهما بمعنى «سرق» والثّاني بمعنى «طار»، أو متعدد الدّلالات كما تقدّمه المعاجم اللّغويّة الأخرى ... بلْ فسّر بالتّفصيل كيف انتقل فعل voler من ميدان الصّيد والقنص بالبازي إلى ميدان السّطو والسّلب، ولم يكتف المعجم التّاريخيّ الإنجليزيّ OED بعرض معاني Bit بحسب ظهورها واستعمالاتها، بل بيّن كيف تولّد معنى الجزء a bit من معنى القضم to bite. انظر: المرجع نفسه، ص119.

الإنحاء: المفهوم والمصطلح

لقد أشارت الخطة الّتي وضعها الدّكتور «القاسميّ» للمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة إلى مبحث مهم من مباحث اللّسانيّات التّاريخيّة يتصل بصورة أساسيّة بدراسة التّغيّر الّذي يطرأ على نوع المفردات اللّغويّة أطلق عليه «إضفاء النّحويّة»، «فالمفردات في اللّغة تُقسّم إلى مفردات معجميّة تحمل معنى كاملًا مستقلًا مثل: (كرسي)، (رجل)، (سماء)، ومفردات نحويّة، لا تحمل مضمونًا خارجيًا بل مضمونًا قواعديًا مثل: (أل)، (قد)، (قط)، ويدرس «إضفاء النّحويّة» تحوّل الصّرفيّات المعجميّة إلى صرفيّات نحويّة خلال حقبة معينة من الزّمن»[1]. وأظن هنا أنّ الدّكتور «القاسميّ» قدّم «إضفاء النّحويّة» - ربما بناء على ما ورد في المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيّات - مقابلًا عربيًا لمصطلح «الإنحاء Grammaticalization»[2]، فحديثه دالّ بوضوح على أنّه مجال بحثيّ يدرس التّغيّر الّذي يطرأ على نوع المفردات بصفة عامّة أو تحوّل الصّرفيّات المعجميّة إلى صرفيّات نحويّة بصفة خاصّة، وأنّه من الأهمية بمكان أنْ يرصد المعجم المنشود هذه التّحوّلات بعد أنْ تخضع مقاربتها لبحث لِسانيّ يعي التّضمينات النّظريّة الّتي يقوم عليها الإنحاء وأهم المبادئ الّتي يتأسس عليها وتتحكم في مساراته؛ لذا وجدتُ من الواجب أنْ يعرّف بحثي هذا بذاكم المجال الجديد نسبيًا في سياق اللّسانيّات العربيّة؛ أسسه ومبادئه وفرضيّاته، وأنْ يشير إلى بعض الأمثلة العربيّة الّتي ينطبق عليها، وأنْ يبيّن علاقته بالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة في محاولة تمهيديّة متواضعة يمكن استثمارها فيما بعد بصيغة معجميّة أفضل اتساقًا وأشد تناسقًا.

بداية أود الإشارة إلى أنّ «الإنحاء» يشير إلى تحوّل المفردة من المعجميّة إلى النّحويّة، ويشير أيضًا إلى تحوّل المفردة من درجة نحويّة معينة إلى درجة أعلى؛ ومن ثمّ تمّ تفريع المفهوم إلى صِنفين هما: «الإنحاء الرّئيسيّ Primary Grammaticalization» وهو التّغيّر من عنصر معجميّ إلى عنصر نحويّ، و«الإنحاء الثّانويّ Secondary Grammaticalization» وهو التّغيّر من عنصر نحويّ إلى عنصر أكثر نحويّة، وهذا هو التّقسيم الّذي أفادته تروجت Elizabeth C. Traugott (سنة 2002)[3] من التّعريف الشّهير الّذي قدّمه كوريولفتز Jerzy Kurylowicz (سنة 1965) للإنحاء ومؤداه أنّه «تغيّر مرحليّ تدريجيّ تكتسي به الوحدات المعجميّة والتّراكيب

---

[1] د. علي القاسميّ 2014: صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، بيروت: مكتبة لُبنان ناشرون، الطّبعة الأولى، ص75.

[2] انظر مكتب تنسيق التّعريب 2002: المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيّات، ص 64 المصطلح رقم 698، حيث ذكر تعريفه التّالي: «تغيّر صنف المقولة، في اللّسانيّات الزّمنيّة، حين تتحوّل صرفة معجميّة إلى صرفة نحويّة خلال تطوّر لُغة معينة». والحقيقة أنّ لهذا المصطلح عدة بدائل لم يذكرها المعجم منها (Grammacization) و(Grammatization) وهي ترتبط باعتبارات نظريّة مختلفة، ولكنّ مصطلح Grammaticalization أوسع انتشارًا واستعمالًا في هذا السّياق بعيدًا عن هذه الاعتبارات.

3) see Elizabeth C. Traugott 2002: From Etymology to Historical Pragmatics. p.26f. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

اللّغويّة وظائف نحويّة، وبه أيضًا تصير الصّيغ الأقل نحويّة أكثر نحويّة»[1]، وقد تبنى هذا التّقسيم عدة باحثين منهم موريل نورد Muriel Norde (سنة 2012)[2]. إنّ «الإنحاء Grammaticalization» بصفته إطارًا بحثيًا يشير إلى جانب من جوانب دراسة تغيّر اللّغة غايته تفسير كيفية أداء العناصر المعجميّة أو البنى التّركيبيّة لوظائف نحويّة في سياقات لُغويّة معينة، وتعليل الكيفيّة الّتي تتطوّر بها العناصر النّحويّة تطوّرًا يمنحها الوسيلة لأداء وظائف نحويّة جديدة، أمّا بصفته مصطلحًا على ظاهرة لُغويّة فيشير إلى المراحل الّتي تمرّ بها العناصر اللّغويّة حتى تصير أكثر نحويّة[3]، وإذا كان الإنحاء مرتبطًا بنحويّة العناصر فإنّ دراسته تنطوي - كما سنرى في ثنايا البحث - على مقاربة عدة أصناف من التّغيّرات الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، وهو مصطلح فرنسيّ الأصل (Grammaticalisation)[4] يعود إلى دراسة أنطوان مايه Antoine Meillet سنة 1912 الّذي عنّاها «تطوّر الأشكال النّحويّة L'évolution des formes grammaticales»، والثّابت أنّ «مايه» لم يقدّم تعريفًا لهذا المصطلح إنّما اكتفى فقط بوضعه بين مزدوجين، لكنّ دلالته على منح كلمة مستقلة سِمة نحويّة[5] كانت واضحة في هذه الدّراسة.

- نبذة تاريخيّة

وفي سبيل التّأريخ لأس هذا المصطلح هناك مَن يرى أنّ المفهوم أو الفكرة الأساسيّة الّتي يقوم عليها المصطلح تعود إلى فترة أقدم من تاريخ ظهوره لدى «مايه»، وهناك مَن يرى أنّه ظهر في الصّين في القرن العاشر الميلاديّ، ومنهم مَن ينسبه إلى اليونانيّين، كذلك نهضت عدة دراسات تستتبع هذا المفهوم في الدّرس اللّسانيّ الغربيّ السّابق على ظهور المصطلح في فرنسا. أمّا عن التّراث النّحويّ العربيّ فيرى كرستيان ليمان Christian Lehmaan أنّه على الرّغم من تعامل النّحو العربيّ مع التصّريف وبناء الكلمات فإنّ بحثه – كما أكد جوناثان أونز Jonathan Owens- كان درسًا آنيًا؛ وبالتّالي لم يحرز تطوّرًا فيما يتعلق بالإنحاء[6]، ومن اللّافت أنّ «ليمان» يستشهد -في الوقت نفسه- بنص اقتبسه جدعون جولدنبرج Gideon Goldenberg عن «الزّجاجيّ» (في كتابه الإيضاح) رأى فيه «ليمان» دليلًا على نظريّة غير مكتملة في النّحو العربيّ حول «الإنحاء»، يقول «الزّجاجيّ»: «إنّ الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغني عنه ضرورة،

1) Jerzy Kurylowicz 1975: Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) p.52. Munich: Wilhelm Fink.

2) Muriel Norde 2012: Lehmann's Parameters Revisited. p.73. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

3) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: Grammaticalization. 2nd ed. p.1-2. Cambridge: Cambridge University Press.

4) see Antoine Meillet (Ed.) 1948: Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) p.133. Paris: Champion.

5) see Christian Lehmaan 2015: Thoughts on Grammaticalization. 3rd Ed. Berlin: Language Science Press. p.5.

6) Christian Lehmaan 2011: Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (29): 9-26. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf. p.1.

ثمّ اتصل به مُضمر صار كبعض حروفه، وصارت الجملة كلمة واحدة»[1]. ويرى «ليمان» أنّ اللّسانيّات السّاميّة الغربيّة لم تتأخر كثيراً في إدراك مفهوم الإنحاء، ودللّ على هذا بكتاب «كارل بروكلمان» «الأساس في النّحو المقارن للّغات السّاميّة Grundriß der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen» الصّادر سنة 1908م حيث كان مفهوم الإنحاء حاضراً في مقاربة «بروكلمان»، بل يذهب «ليمان» أبعد من هذا، فيرى أنّ معالجة «بروكلمان» لحروف الجر افترضت ما يطلق عليه الآن مساراً إنحائيًا يتكون من أربع مراحل، وأنّه استعمل في وصف هذه المراحل مفاهيم وصفيّة أساسيّة هي: فقد المحتوى الدّلاليّ (من المرحلة الأولى إلى الثّانية)، و«التّحجر fossilization» (من المرحلة الثّانية إلى الثّالثة)، والتّقلص إلى وظيفة نحويّة خالصة (في المرحلة من الثّالثة إلى الرّابعة)، أمّا الأسماء الّتي تمثّل المرحلة الأولى فهي عادة ما تكون دالة على أعضاء جسم الإنسان[2]. ولقد شغلت دراسة الإنحاء في اللّغات السّاميّة لاسيما الأكاديّة والعبريّة عددًا غير قليل من الباحثين المعاصرين أمثال «جيفون» Talmy Givon 1991، و«روبا» Jo. Rubba 1994، و«سيمون-سنل» Marie-Claude Simeone-Senelle و«فانهوف» Martine Vanhove 1997، و«كوفنبرج» N. J. C. Kouwenberg 1997، و«فوجت» Rainer Voigt 1999، وتوزعت اهتمامات هذه الدّراسات على موضوعات منها: الأفعال النّاقصة، وحروف الجر، والمصدر، والأسماء الموصولة، وتضعيف بعض الأفعال[3]. فهذه الدّراسات الّتي تهتم ببحث الإنحاء في اللّغات السّاميّة تؤكد من ناحية فاعليّة الإنحاء في فهم الأنظمة النّحويّة لمثل هذه اللّغات، وهذا له كبير الأثر في إدراك كيفية تطوّر النّظام النّحويّ في العربيّة؛ ذلك أنّ مقاربة عملية الإنحاء في عدد من المجالات النّحويّة المختلفة وكذا في عدد من اللّغات المتنوعة تفترض أنّ «العموميّات الحقيقيّة للّغة هي عموميّات التّغيّر، وأنّ هذه العموميّات يمكن النّظر إليها على أنّها تمثّل مسارات من التّغيّر، وأنّنا في سبيل فهم النّحو والقواعد بصورة تامة لابد أنْ ننظر من خلال هذه المسارات إلى الآليّات الفعليّة المسببة للتّغيّر عندها نحاول فهم هذه الآليّات عبر سيرورات تفاعليّة ومعرفيّة أساسيّة، فإذا نجحنا في هذا بدأنا فهم كيف تبني اللّغة قواعدها»[4].

---

[1]) الزّجاجيّ (أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق ت 337ه): الإيضاح في عِلل النّحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النّفائس، الطّبعة الثّالثة، ص75. وقد جاء هذا القول في معرض حديث الزّجاجيّ عن حكم إعراب الأفعال (الأمثال) الخمسة بالحروف، يقول: «فإنْ قال قائل: فلمَ جاز أنْ يجيء إعراب الفعل المستقبل بعد الفاعل في قولك: الزّيدان يقومان، والزّيدون يقومون، وما أشبه ذلك؟ فقد جاءت علامة رفع الفعل بعد الفاعل وهي ثبات النّون، وكذلك النّصب والجزم، لأنّهما بحذف النّون، وهي بعد الفاعل، أفيجوز أنْ يكون إعراب شيء موجودًا في غيره وكون ذلك الشّيء معربًا؟ قيل له: إنّ الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغني عنه ضرورة، ثمّ اتصل به مُضمر صار كبعض حروفه، وصارت الجملة كلمة واحدة؛ فجاز لذلك وقوع الإعراب بعد ضمير الفاعل لما صارت الكلمة كلمة واحدة، والدّليل على ذلك إسكان لام الفعل في قولك: فعلْت، أسكنت اللّام لئلا تتوالى في كلمة واحدة أربع متحركات».

2) adapted from Christian Lehmaan 2011: op. cit., p.2.

3) see Aaron David Rubin 2004: Studies in Semitic Grammaticalization. p.10. PhD Thesis. Harvard University.

4) adapted from Joan Bybee 2003: Cognitive Processes in Grammaticalization. P.151. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of

كذلك أعتقد أنّ هذه الدّراسات من ناحية أخرى يمكن أنْ تضع أيدي صناع المعجم التّاريخيّ على معلومات مهمة حول المداخل (النّحويّة أو المعجميّة الّتي تطوّرت عنها وفق عمليات الإنحاء المختلفة) وحول توزيعها (كمداخل رئيسة أو فرعيّة) وحول تعريفها أيضًا، فدراسات اللّغات العرُوبيّة (السّاميّة الحاميّة) من المصادر المهمة بالنّسبة إلى المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة[1].

وما أود الإشارة إليه هنا أنّ مفهوم الإنحاء كان حاضرًا لدى النُّحاة العرب؛ وعليه فإنّ حديث «ليمان» السّابق عن أنّ النّحو العربيّ لم يستطع الإمساك بمفهوم الإنحاء يحتاج في سبيل تأكيده أو تفنيده إلى مزيد من البحث والتّقصي، فإذا كان «بروكلمان» في مقاربته المقارنة لأنحاء اللّغات السّاميّة قد فطن إلى مفهوم الإنحاء وغاب عنه مصطلحه كما صرّح بذلك «ليمان»، فإنّ «أبا حيّان الأندلسيّ» في محاولته الرّائدة تطبيق القواعد النّحويّة العربيّة على اللّغة التّركيّة[2] (الّتي لم تخل من مواضع عديدة قارن فيها بين اللّغتين) لم يغب عنه أيضًا مفهوم الإنحاء وإنْ لم يسمّه شأنه في هذا شأن «بروكلمان»، يقول «أبو حيّان»: «وتقول في معنى: أقام سنجر أم سنقر؟: (سنجر مو طردو يا سنقر)، ويقال: (سنجرمى طردى يق سا سنقر)، وصار هذا الكلام يعطي معنى: أقام سنجر أم سنقر؟، و(يُق) أصله اسم بمعنى معدوم، والدّليل على ذلك الإضافة إليه، يقولون في معنى فقير: (يُقلو)؛ أي: ذو معدوم، والإضافة من خواص الأسماء، ثُمّ استعملت (يُق) استعمال (لا) النّافيّة، و(سا) معناه (إنْ) وهو حرف للشّرط فكأنّه قال: أقام سنجر لا إنْ سنقر، ويعطي معنى: أم سنقر»[3]، ويزيد «أبو حيّان» فيقول: «و(يُق) بمعنى (لا) وقد تقدّم أنّ (يُق) اسم والاستدلال على ذلك، وإنْ كان قد أُستعمل بمعنى (لا) لأنّه بمعنى معدوم، فقد توافق معنى (لا) ومعنى معدوم»[4]. إنّ إشارة «أبي حيّان الأندلسيّ» إلى تحوّل (يُق) في اللّغة التّركيّة المنطوقة من الاسميّة إلى الحرفيّة، وفقدها المعنى الّذي كان لها بالاسميّة (معدوم)، وتطوّرها لِتصير أداة نفي عامّة (=لا)، وتفسيره لهذا التّحوّل بالتماس جامع دلاليّ بين (يُق) و(لا) النّافيّة، كل هذا دليلٌ واضحٌ على وجود مفهوم «الإنحاء» في التّراث النّحو العربيّ (المقارن) عند «أبي حيّان الأندلسيّ» وإنْ غابت عنه تسمية هذه الظّاهرة، كذا لا أعتقد أنّ أحدًا ممن يهتمون بمقاربة الإنحاء ينكر أنْ يكون حديث «ابن جني» التّالي إشارة إليه وشاهدًا عليه، قال: «ومن ذلك أنّه لما اطُّردت إضافة أسماء الزّمان إلى الفعل نحو: قمتُ يومَ قمتَ، وأجلسُ حينَ تَجلسَ، شبهوا ظرف المكان بها في (حيث)، فتدّرجوا من (حين) إلى (حيث) فقالوا: قمتُ حيثُ قمتَ»[5]، ويمكنني أنْ أضيف في هذا السّياق ما توصلت إليه دراسة الأستاذة «ثُريا عامِر» من أنّ «المتفحص لما قيل في الأفعال النّاقصة في كتب التّراث [يخرج] بنقاط التقاء عديدة لما تمّ ضبطه من مبادئ

Language. Vol.2. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc. 145-167.

[1]) انظر د. علي القاسميّ 2014: مرجع سابق، ص293.

2) see C. H. M. Versteegh 2006: Arabic Linguistics Tradition. p.438. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.1: 434-40. Amsterdam: Elsevier.

[3]) أبو حيّان الأندلسيّ712 ه : الإدراك للّسان الأتراك، مطبعة عامره، 1309، ص204.

[4]) أبو حيّان الأندلسيّ712 ه : المرجع السّابق، ص212.

[5]) ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: 392ه) : الخصائص، تحقيق: عبد الكريم بن محمد، القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة، د.ت، المجلد الثّاني، ص12.

الإنحاء»[1]، وبصرف النّظر عن تاريخ مفهوم الإنحاء فقد رأى فيه بعض اللّسانيّين المعاصرين إمكانية لطرح إطار تفسيريّ لدراسة عموميّات اللّغة وبعدها الطّوبولوجي، ورأى فيه آخرون مقاربة بديلة لبنية اللّغة الّتي تمّ وصفها وتحليلها في الأنحاء الشّكليّة الآنيّة[2].

*** الإنحاء والمعجم التّاريخيّ للّغة**

أمّا عن علاقة الإنحاء بالدّرس المعجميّ بعامّة والمعجم التّاريخيّ للّغة بخاصّة فتتمثّل من وجهة نظري في إمكانية أنْ تقدم البحوث المتعلقة بالإنحاء وظواهره المختلفة في اللّغة العربيّة صورة مفصّلة عن تطوّر ألفاظ اللّغة على البعدين الآنيّ والتّاريخيّ؛ فآنيًا يقارب الإنحاء الاستعمالات المتعددة لصيغة أو تركيب مفرد في فترة زمنيّة معينة ويبيّن درجة إنحائها، وتاريخيًا يلقي الضّوء على الدّورة التّطوريّة لصيغة معينة وتحوّلاتها المختلفة داخل اللّغة[3]. أضف إلى هذا أنّ الإنحاء يتضمّن مجموعة من الآليّات كل واحدة منها تعدُّ تطوّرًا وتغيّرًا في حد ذاتها؛ بمعنى أنّ الإنحاء عملية تطوّر مركبة تتضمن عدة تغيّرات منها التّغيّر الصّوتيّ والتّغيّر الدّلاليّ والتّغيّر النّحويّ والتّركيبيّ، فإذا نظرنا إلى التّأريخ المعجميّ بمعناه العميق والشّامل الّذي ألمح إليه الدّكتور «الودغيريّ» - ممثّلًا من ناحية - في ملاحقة مسار الوحدات المعجميّة «في كل بيئاتها الّتي تَقَلَّبَت فيها والمجالات والحقول الدّلاليّة الّتي انتقلت منها وإليها، وتسجيل كل الملاحظات الخاصّة بالتغيّرات الّتي طرأت على صيَغها اللّفظيّة صوتًا وصرفًا، سواء في حالة انفرادِها وانعزالها أمْ في حالة انتِظامها مع غيرها وتَرْكيبها في جُمَلٍ وسلاسل كلاميّة، وممثّلًا - من ناحية أخرى - في تتبع رحلة الكلمات من لُغة إلى أخرى[4]، فإنّ الدّرس الإنحائيّ يضع أمام عملية التّأريخ هذه مجموعة من الحقائق المتعلقة بصور الألفاظ ودلالاتها وما طرأ عليها من تغيّر

---

1) ثُريا السّكريّ عَامِر : ظاهرة الإنحاء في اللّغة العربيّة: الفعل النّاقص نموذجًا، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، تصدير الأزهر الزّناد 2009، ص95، وانظر لمزيد من التّفصيل الباب الأول من هذه الدّراسة ص ص 93: 110.

2) after Pull J. Hopper 1996: Some Recent Trends in Grammaticalisation. p.217. Annual Review of Anthropology, vol.25:217-36.

3) after Mohssen Esseesy 2007: Grammaticalization. p.191 in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (191-8) Leiden, Boston: Brill.

4) انظر دراسة د. عبد العلي الودغيري: التّأريخ المعجميّ والتّطوّر اللّغويّ، ضمن الإصدار الحالي. وأذكر هنا أنّ ديروي L. Deroy يعدّ من أوائل الّذين اهتموا بفكرة «رحلة الكلمات» سنة 1956 في كتابه حول الاقتراض اللّغويّ L'emprunt Linguistique، ولعل تتبع هذه الرّحلة لا يتوقف عند رصد انتقال الكلمات من لُغة إلى أخرى، بلْ تتبع عودتها إلى لُغتها الأصليّة مرة أخرى في ثوب صياغيّ جديد، وهذا النّوع من الكلمات يُطلق عليه ديروي «الكلمات الرّحالة Mots Voyagers»، انظر د. عبد المنعم السّيد جُدامي 2016: المشكلات الثّقافيّة في معجم إلياس بُقطُر، ضمن كتاب (المعجميّة العربيّة: قضايا وآفاق – الجزء الثّالث) إعداد وتنسيق د. منتصر أمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأولى، ص282، و307. ومما يستحق الذّكر هنا أنّ تتبع رحلة الكلمات ذهابًا وإيابًا مثّل مظهرًا لافتًا من مظاهر المعجم التّاريخيّ للّغة الفرنسيّة الّذي أشرف عليه آلان راي A. Rey.

في مبناها ومعناها ووظائفها وتحوّلاتها سواء داخل اللّغة أو في لُغة أُخرى حيث أصبح مفهوم الإنحاء ركنًا مهمًا في دراسة الاحتكاك بين اللّغات الّتي تربط بينها علاقات معينة وأثرًا شاهدًا على تاريخ تلك العلاقات[1]. فتطوُّر علامة المستقبل (السّين) عن (سوف) أو (السوف)، واستعمال (مَن) صلة وشرطًا، و(ذو) متبوعة بالاسم والفعل، و(ما) التّميميّة والحجازيّة، وانتقال كلمة (وسط) من الاسميّة إلى الظّرفيّة، واستعمال (جي) تركيّة الأصل للنّسبة إلى صنعة أو للدّلالة على لزوم صفة معينة، واستعمال (مرة) للدّلالة على النّفي والتّكثير بمعنى (أبدًا) و(جدًا) و(كثيرًا)، و(بعد) بمعنى (أيضًا وكذلك)، و(يمّ) بمعنى (جانب)، واستعمال (أخذ) بمعنى (بدأ)، كل هذه الأمثلة وغيرها تؤكد على أنّ الإنحاء من المفاهيم المهمة الّتي يجب أنْ نلتفت إليها وننوّه بها ونحن نتحدث عن معجم تاريخيّ للّغة العربيّة؛ وذلك لاتصاله الرّاسخ بظاهرة التّغيُّر اللّغويّ أضف إلى هذا أنّ الإنحاء لا يعبر عن تطوّر واحد في مرحلة زمنيّة واحدة إنّما هو عدة تطوُّرات وتغيُّرات تصيب العناصر اللّغويّة على فترات زمنيّة مختلفة متعاقبة، حيث يراد من المعجم التّاريخيّ للّغة أنْ يوثق جميع مظاهر هذه التّغيُّرات اللّغويّة ومن بينها الصّيغ المُنحّاة، فيُوضع أمام كل صيغة من هذه الصّيغ ما يشير إلى أنّ معنى معينًا من معانيها ووظائفها المختلفة إنّما هو نتيجة لنوع معين من الإنحاء، فتُوضَع الصّيغ تحت مداخلها الرّئيسة ويتمّ الاتفاق على رمز محدد يشير إلى الإنحاء أو سبب تغيّرها. ولا ترى دراسة معمقة حول الإنحاء إلا وتجد أنّها تحيل على معجم لُغتها موضع البحث لاسيما التّاريخيّ كما هو الحال بالنّسبة إلى معجم أكسفورد التّاريخيّ للّغة الإنجليزيّة[2]، ويمكننا هنا الإفادة من المعاجم اللّغويّة التّراثيّة وما تلاها من معاجم حتى عصرنا هذا في إثراء بحوث الإنحاء من خلال ما تمّ رصده في هذه المعاجم من تغيّر في صور المفردات المعجميّة ووظائفها النّحويّة وانتمائها المقوليّ، فلسان العرب لـ«ابن منظور» على سبيل المثال واحد من المعاجم المهمة في هذا السّياق لاسيما أنّ حديثه عن المداخل المعجميّة -كما يرى الدُّكتور «أحمد العَلويّ»- يضم أخبارًا عن معانيها واختلافًا في ذلك لا يفسر إلا بكونه بيانًا لتطوّر معنى المدخل زمانيًا أو مكانيًا. بغير هذا التّفسير لا ندرك معنى لاختلاف الكلمة الواحدة إلى أكثر من ثلاثة دلالات، وأحيانًا لا نجد بين الدّلالات المختلفة رابطًا مجازيًا بيّنًا، بل نجد اللّفظ يدل على معان بينها روابط أُخرى لا يفسرها إلا التّطوُّر والإضافات الدّلاليّة المتراكمة لأسباب متجددة عند المستعملين[3]، وبدورها على بحوث الإنحاء ودراساته أنْ تقدّم قائمة بمجموعة الصّيغ العربيّة المُنحّاة مع وصف لمراحل تغيّرها ومسارات إنحائها كي يفيد منها واضعو المعجم التّاريخيّ للّغة.

- **مسار الإنحاء وأحادية الاتجاه**

فلكل لفظ من الألفاظ المُنحّاة رحلة تطوّر خاصّة يُشار إليها بمسار الإنحاء Grammaticalization Path، كما رأينا سابقًا في وصف «بروكلمان» لتطوّر حروف الجر في اللُّغات

---

[1] لمزيد من أبعاد تلك العلاقة بين الإنحاء والاحتكاك اللُّغويّ انظر: Bernd Heine & Tania Kuteva 2005: Language Contact and Grammatical Change. p.1-21. Cambridge University Press.

2) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Language of the World. p.217-8. Chicago and London: University of Chicago Press.

[3] انظر دراسة د. أحمد العلويّ: المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة وشروط قيامه، ضمن الإصدار الحالي.

السّاميّة، والغالب على هذا المسار أو ذاك هو انتقال اللّفظ من المعجميّة إلى النّحويّة أو من النّحويّة إلى درجة أعلى منها، وهذا معناه أنّ هناك اتجاهًا أحاديّ الوجهة (معجميّ > نحويّ[1])، وهو ما يصطلح عليه في الدّرس الإنحائيّ بـ «أحاديّة الاتجاه Unidirectionality» (واختصارها UD)، وهي فرضيّة تؤكد أغلب دراسات الإنحاء -رغم خلافات كثيرة لا داعي إلى سردها هنا[2]- على أنّها ركيزة أساسيّة في نظريّة الإنحاء[3]، وتقوم هذه الفرضيّة -كما يوضح روجر لاس Roger Lass- على ثلاث نقاط أساسيّة: الأولى: أنّ عمليات التّغيُّر الصّرف-تركيبيّ تنطوي على مسارات أو مُتصلات تغيّر ذات نقاط تدرجيّة محددة، وأنّ المسار الرّئيس هو التّحوّل من (المعجميّة > النّحويّة) حيث تبدأ بكلمات معجميّة تنتهي بها رحلة التّطوُّر إلى مورفيمات صرفيّة، هذا بالإضافة إلى مسارات أخرى تتضمّن - على سبيل المثال - التّحوّل من (حر > مقيد)، النّقطة الثّانية: أنّ أيّ حركة على هذه المسارات أو المتصلات هي تغير أحاديّ الاتجاه، النّقطة الثّالثة والأخيرة: وجود الكثير من الأدلة التّطبيقيّة الّتي تدعم هاتين النّقطتين (الأولى والثّانية) يمكّن من القول إنّ العناصر النّحويّة الموجودة في جميع اللّغات الطّبيعيّة ناتجة عن عناصر معجميّة أو مشتقة منها[4]. ويمكن أنْ يُطلق على هذا المسار أو ذاك «مسار النّحويّة Grammaticality Pathway» طالما سلمنا بفرضيّة أحاديّة الاتجاه. وخلال هذه المسارات نَلمح تحركًا للعناصر من

---

[1]) يشير السّهم (>) في هذا البحث إلى أي صورة من صور التّطوّر التّاريخيّ لصيغة ما، ويُقرأ: تطوّرت أو تغيّرت إلى.

[2]) لعرض مهم حول هذه الفرضيّة،انظر : Roger Lass 2000: Remarks on (Uni)dierctionality. pp.207-27. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.

[3]) لم تتفق الآراء حول ما إذا كان الإنحاء يشكّل نظرية أم لا، ومن الرّؤى المبالغ فيها في هذا السّياق رؤية «فريدريك نيومايير»،انظر:

Frederick J. Newmeyer 1998: Language Form and Language Function. p.234-235. MIT Press.

وإذا كان «نيومايير» يمثّل موقف التّيار التّوليديّ من دراسة الإنحاء فسأكتفي هنا برأي «بيبي Joan Lea Bybee» – من بين آراء أخرى لا يتسع المقام لذكرها - فيما يخص هذا الموقف، فهي ترى أنّ التّوليديّين ينظرون بخصوص هذه الظّاهرة إلى جوانب قليلة (تغيرات المقولة) تاركين بعض الجوانب الأخرى الّتي تشكّلها وتؤثر فيها كـ(التّغيرات الصّوتيّة والدّلاليّة والتّداوليّة)، وترى أيضًا أنّ الغاية من وراء وضع ما يسمى «المبادئ التّفسيريّة Explanatory Principles» هي الدّفع بالإنحاء في اتجاه معين، هذا بالإضافة إلى أنّ عددًا غير قليل من الفرضيّات الأساسيّة الّتي يتبناها التّوليديّون لا تتماشى وحقائق كثيرة حول الإنحاء. وللمزيد انظر:

Joan Bybee 2009: Grammaticization: Implications for a Theory of Language. p.346 In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. 345-355.

4) adapted from Roger Lass 2000: op. cit. p.207-8.

مصدر حسيّ إلى هدف أو عدة أهداف مجردة عبر مجموعة متعددة من الوظائف المتتاليّة الّتي يمكن أنْ يؤديها العنصر خلال عملية التّطوّر أو التّغيُّر بحيث يعكس موقع الصّيغة على هذا المسار درجة نحويّتها، أمّا عن المواقع الدّقيقة لنقاط المسار فمن الصّعب تحديدها؛ إذ ليس هناك حدود واضحة بين المقولات الّتي يُمكن لها أنْ تُشكّل مسار التّطوُّر[1]. ولعل واحدًا من أهم المسارات النّحويّة في هذا الإطار هو المسار الّذي وضعه بول هوبر Paul J. Hopper واليزابيث تروجت Elizabeth C. Traugott حيث يبدأ بكلمة ذات محتوى معجميّ تتطوّر من خلال الإنحاء إلى كلمة نحويّة، فمُتّصِل، ثُمّ لاصقة تصريفيّة، وذلك على الصّورة التّاليّة[2]:

Content Item > Grammatical Word > Clitic > Inflectional Affix

ووفقًا لفرضيّة أحاديّة الاتجاه فإنّه إذا انتقل عنصر معجميّ من نقطة إلى نقطة أخرى داخل هذا المسار، فلا يمكن له العودة مرة أخرى إلى واحدة من صيغه الأول الّتي كان عليها قبل عملية التّطوُّر أو الانتقال، ولكنْ هذا لا يمنع إمكانيّة أنْ تبقى الصّيغة المُنحاة بجانب العنصر المعجميّ الأصليّ الّذي تطوّرت عنه؛ ومن ثَمّ يخضع هذا العنصر للتّغيُّر كغيره من العناصر، ويُطلق على هذه الظّاهرة «التّفرّع Divergence»[3]، وتتمثّل هذه الظّاهرة وفق ما طرحه الدّكتور «محسن السّيسيّ» في تطوّر العلامة الدّالة على الزّمن المستقبل في العربيّة الفصحى المعاصرة[4]، وهي (السّين) في مثل: «ستظهر النّتيجة غدًا»، فهي من اسم (السّوف) بمعنى الأماني في مثل قولهم: فلانٌ يقتاتُ السّوفَ[5]، وتستعمل مصدرًا مُضافًا في مثل ما ذكره سيبويه من شعر ابن مقبل: (لو ساوفتْنا بسوف من تجنُّبها *** سوفَ العيوف لراح الرُّكب قد قنعوا)، وذكر ابن منظور أنّهم «قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام»[6]، وأحسب أنّ قولنا: (سَ) صورة متطوّرة عن قولهم: (سَا يكون) بحذف العين واللّام معًا طلبًا للخفة، وعلى هذا فإنّ السّين وحدها «منحاة عن الاسم وقد فقدت علاماته (التّعريف والجر والإضافة) وحالاته الإعرابيّة وجانبًا كبيرًا من دلالته، وأصبحت مجرد لاصقة مقصورة على صنف معين من الأفعال تسبقه وتوجّه دلالته الزّمنيّة نحو المستقبل»[7]، وسواءٌ أكانت هذه السّين منحاة عن اسم أو عن فعل في رأي بعضهم - حيث ذكر «ابن منظور» عن «ابن جني» قوله عن «سوف»: «هو حرف واشتقوا منه فعلًا فقالوا: سوَّفْتُ الرَّجل تسويفًا»[8]- فلا ينفي هذا الإنحاء الحاصل فيها، إنّما يدعونا هذا -وبناء على شواهد من العربيّة ومعاجمها وقواعدها وآراء النّحاة العرب أنفسهم- إلى التّفكير مرة بعد مرة في رسم مسارات إنحائيّة تستجيب -أولًا وقبل كل شيء- لمنطق العربيّة في التّطوّر، فإذا كانت

---

1) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

2) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.7.

3) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.118.

4) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

5) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت: 711ه): لسان العرب، بيروت: دار صادر، (سوف) المجلد 9، ص164.

6) ابن منظور : السّابق نفسه.

7) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

8) ابن منظور : مرجع سابق، ص164.

اللّغات جميعها تخضع للتّطوّر والتّغيّر، فإنّها بلا شك تتفاضل في مظاهره ومساراته، وهذا لا ينفي بالطّبع وجود الكثير من أوجه التّشابه. فالمتوقع وفق دراسة بيبي Joan Bybee وآخرين أنّ أي عمليّة من عمليّات الإنحاء تبدأ بمعنى مصدر Source Meaning مشابه لمعنى آخر في لُغة أُخرى فمن المتوقع لهذه العملية أنْ تسلك المسار نفسه، وهو ما يُطلق عليه في هذه الدّراسة المسارات العامّة Universal Paths، ولكنّ هذا التّوقع لا يمنع أمثلة خاصّة من الإنحاء[1]، إنّ علاقة (السّين) هنا بالفعل (سوّف) أو بالاسم (السّوف) والأقوال الثّلاثة الّتي ذكرها ابن منظور (سو يكون، وسا يكون، وسف يكون) تدعم/ها ظاهرة «التّفرّع» لدى «هوبر» و«تروجت» أو ما اصطلح عليه «هين» Bernd Heine و«ريه» Mechthild Reh بالانقسام Split؛ أي وجود صيغتين لعنصر معين؛ الأولى تمثّل حالة وضعه الأول، والثّانية هي حالته النّاشئة عن الإنحاء[2]، وأحسب أنّ «الانقسام الوظيفيّ Functional Split»؛ أي وجود تطوّرين مختلفين لوحدة معينة داخل اللّغة[3] توصيف مهم وغير مستبعد أيضًا في حالة (السّين) الدّالة على المستقبل. إنّ حالة (السّين) هنا قريبة الشّبه بحالة (will) الإنجليزيّة، فالأخيرة مأخوذة عن الألمانيّة بمعنى: يريد (want)، ثُمّ فقدت جزءًا كبيرًا من هذا المعنى، وتمّ إنحاؤها لتصير علامة دالة على المستقبل تتقيّد بمواقع محددة داخل الجملة[4]. وإذا كانت (will) تتعرض لـ«تآكل صوتيّ Phonetic Erosion» -وهو أيضًا مظهر من مظاهر الإنحاء[5]- في مثل (she'll) فهذا يعود بنا إلى قول «ابن منظور»: «قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، وسا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، وسف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام»، فحديث «ابن منظور» -من وجهة نظري- يموضع مثل هذه الصّيغ عند نقطة معينة من نقاط مسار إنحاء (السّين)، وأظن أنّ «الحذف» الّذي تحدث عنه هنا معادل مصطلحيّ للتآكل الصّوتيّ الّذي تتعرض له بعض الصّيغ المُنحَاة.

وهنا أقترح العودة إلى معجم لسان العرب لـ«ابن منظور» وإلى معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة للمرحوم الدُّكتور «أحمد مختار عمر» كي ننظر في هذه (السّين) وموضعها في المعجمين، وتعريفها، وماذا يمكن أنْ تقدّم دراسات الإنحاء للمعجم اللُّغوي العربيّ عامّة والمعجم التّاريخيّ للُّغة العربيّة بخاصّة من خلال هذا المثال، فـ(السّين) في معجم لسان العرب وردت على النّحو التّالي: (حرف السّين المهملة) «الصّاد والسّين والزّاي أسليّة؛ لأنّ مبدأها من أسلة اللّسان، وهي مستدق طرف اللّسان، وهذه الثّلاثة في حيز واحد، والسّين من الحروف المهموسة، ومخرج السّين بين مخرجي الصّاد والزّاي؛ قال «الأزهريّ»: لا تأتلف الصّاد مع السّين ولا مع الزّاي في شيء من كلام العرب»[6]. وجاءت في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كما يلي: (2401- س) «س[1] [كلمة وظيفيّة]: الحرف الثّاني عشر من حروف الهجاء، وهو صوت أسنانيّ لثويّ، مهموس،

---

1) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: op. cit., p.14-15.

2) see Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. p.57. Hamburg : Helmut Buske.

3) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.57.

4) after Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007: A Glossary of Historical Linguistics. p.73. Edinburgh University Press.

5) see Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.15.

6) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد السّادس، ص3.

ساكن، احتكاكيّ (رخو)، مُرقّق. س[2] [كلمة وظيفيّة]: 1- حرف يسبق الفعل المضارع المثبت دون المنفيّ فيخصصه للاستقبال، فيدل على المستقبل القريب، وقد يدل على المستقبل البعيد. 2- حرف غير عامل يفيد تكرار الفعل وتوكيده ...» [1]. إنّ ثمة اختلافات كثيرة بين المعجمين فيما يخص (السّين):

- تعامل لسان العرب معها على أنّها صوت من أصوات العربيّة؛ فبيّن مخرجها وعلاقاتها بغيرها من الأصوات وبعض صفاتها.
- لم يشر لسان العرب إلى معنى السّين كحرف دالٍ على المستقبل يسبق الفعل المضارع المثبت.
- أدرجها معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كلمة وظيفيّة لأنّها من حروف الهجاء؛ فبيّن موقعها من حروف الهجاء، وعدّد صفاتها الصّوتيّة.
- أدرجها معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كلمة وظيفيّة لأنّها مما اكتسب دلالة جديدة غير دلالته اللُّغويّة؛ فذكر مواضعها النّحويّة ودلالاتها في هذه المواضع.

فالكلمات الوظيفيّة في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة «هي الكلمات الّتي اكتسبت دلالة جديدة بعيدة عن الدّلالة اللُّغويّة لألفاظها وتشمل حروف الهجاء وجميع حروف الجر وأدوات الاستفهام والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وأدوات الشّرط والظّروف وأسماء الأفعال، كما اشتملت بعض الأفعال الجامدة، مثل «عسى» ... إلخ»[2]. ورغم ما يبدو من أنّ معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة قد خطا خطوات جيدة فيما يتعلق بترتيب المداخل واستقصاء معلوماتها، فإنّ ورود حديثه عن السّين كحرف دالٍ على المستقبل مخصص للدخول على المضارع المثبت بعد حديثه عنها كصوت أو حرف هجائيّ يشي -وفق تعريفه للكلمات الوظيفيّة السّابق- بأنّ هذه الدّلالة دلالة جديدة للسّين المفردة، ويعزز هذا الاستنتاج أنّ حديثه عن (سوف) لم يتضمن أيّة إشارة إلى السّين (فقد ذكر في (سوف) 2675 [كلمة وظيفيّة] حرف مبني على الفتح يخصص أفعال المضارعة للاستقبال البعيد، فيردّ الفعل من الزّمن الضّيق وهو الحال إلى الزّمان الواسع وهو الاستقبال، وهو يقتضي معنى المماطلة والتّأخير، وأكثر ما يستعمل في الوعيد، وقد يستعمل في الوعد[3]) فلم يوضح هذا التّعريف علاقة (سوف) بالسّين رغم ثبات هذه العلاقة، ورغم أنّ الدُّكتور أحمد مختار عمر – رحمه الله- قد أخذ في معجمه الموسوعيّ لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته على الأعمال السّابقة في هذا الشأن أنّها لم تذكر (بل) و(السين) في حين أنّها أثبتت (بلى) و(سوف)[4]، كذلك خلا حديثه عن هذا المدخل 2675 من (سوف) الاسميّة رغم أنّه أثبت الأفعال (سَاوف – سَوْفَ)، ورغم وجودها في لسان العرب، وربما خلا هذا المعجم من مدخل لـ(التّسويف)!. وما أُريد التّأكيد عليه هنا أنّ الاختلاف الجوهريّ بين المعجمين يكمن في رؤيتهما لـ«معجميّة» العناصر الّتي تشكّل مداخل كل منهما، فالسّين الدّالة على المستقبل ليست مدخلًا من مداخل لسان العرب؛ لأنّها

---

[1]) د. أحمد مُختار عمر (بمساعدة فريق بحث) 2008: معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطّبعة الأولى، المجلد الثّاني، ص1019.

[2]) د. أحمد مُختار عمر 2008: المرجع السّابق، المجلد الأول، ص13.

[3]) انظر د. أحمد مُختار عمر (بمساعدة فريق بحث) 2002: المعجم الموسوعيّ لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرّياض: مؤسسة سطور المعرفة، الطّبعة الأولى، ص19.

[4]) د. أحمد مُختار عمر 2008: المرجع السّابق، المجلد الأول، ص13.

بذاتها صيغة خالية من المعنى بالمنظور المعجميّ، ولكنّها في المقابل شكّلت مدخلًا من مداخل معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ربما لأنّ المنظور النّحويّ مثّل واحدًا من العناصر الّتي يتكون منها مفهوم «المعجميّة» عند أصحاب هذا المعجم.

إذن، فالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة - وهو يستثمر مثل هذه المعاجم في معالجة مواده - مطالب برصد (السّوف) كاسم له من الشّواهد -الّتي ساقها «ابن منظور» و«سيبويه»- ما يؤكده، وببيان العلاقة بين (السّين) و(سَوفَ) و(السّوفَ) و(سَوْفَ)، وبتحقيق قول «ابن جنيّ» في هذا: (هو حرف اشتقوا منه فعلًا)، والتّأكد من الشّواهد: (سف يكون، وسا يكون، وسو يكون) وتبرير أشكالها، وأحسب هنا أنّ الاستعانة ببحوث الإنحاء يمكن أنْ تساعد في تحقيق بعض هذه المطالب، فإذا صح استنتاجنا أنّ (السّوفَ) [عنصر معجميّ - اسم] تطوّرت عنه (سَوفَ) [عنصر نحويّ -حرف]، ثُمّ حصل فيها تآكل صوتيّ (سَف، سَو، سَا، ثم سَ) ولزمت مواقع تركيبيّة محددة مع بقاء الكلمتين جنبًا إلى جنب [التّفرع أو الانقسام]، أو أنّ (سَوْفَ) انتقلت إلى (سَوفَ) وتحوّلت الأخيرة إلى (سَف، سَو، سَا، ثم سَ) وتقيّدت بالدّخول على الفعل المضارع المثبت فقط، فإنّ المعجم التّاريخيّ لابدّ أنْ يشير في تعريفه لهذه المداخل (بحسب الطّريقة الّتي سيتم اعتمادها في التّرتيب) إلى إنحائها ويتتبع مسار هذا الإنحاء لاسيما أنّ المعاجم السّابقة لم ترصد هذه العلاقات.

- بين الإنحاء والإعجام

إنّ الصّورة المجازيّة للإنحاء تمثّلها مقاربة يُطلق عليها «مقاربة الصّندوق Box Approach» ومفادها أنّ هناك صندوقًا ضخمًا للمعجم وآخر للنّحو، الأول ممتلئ بالعناصر المعجميّة، والثّاني ممتلئ بالعناصر النّحويّة؛ ومن ثمّ فإنّ العمليّات الّتي يتمّ من خلالها انتقال العناصر من الصّندوق الأول الخاصّ بالمعجم إلى الصّندوق الثّاني الخاصّ بالنّحو تمثّل الإنحاء، أمّا العمليات الخاصّة بنقل العناصر من صندوق النّحو إلى صندوق المعجم فتمثّل «الإعجام Lexicalization»[1] أو مَعجَمة العناصر النّحويّة، فبين كل من الإنحاء والإعجام روابط قوية، ففريق من الباحثين يرى أنّ الإعجام نوعٌ مخصوصٌ من «نزع الإنحاء Degrammaticalization» حيث تفقد الصّيغ والبنى وظائفها النّحويّة ويتم تحجرها في صورة عناصر معجميّة أو تعابير اصطلاحيّة عقيمة، وفريق آخر يرى أنّ الإنحاء هو تطوّر إضافي في عملية الإعجام؛ بمعنى أنّه تقييد صارم لعنصر معجميّ معين[2]، فإذا كان الإنحاء هو إيجاد عنصر نحويّ من عنصر معجميّ، أو إيجاد عنصر نحويّ من آخر أقل نحويّة، فإنّ الإعجام هو العمليّة العكسيّة؛ أي التّحوّل من عنصر نحويّ إلى عنصر معجميّ أو خفض درجة نحويّته بمعنى أنّه إيجاد عنصر معجميّ -من عنصر غير

1) see Nikolaus P. Himmelmann 2004: Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.21. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.

2) adapted from Ilse Wischer 2000: Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. p.359. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

معجميّ- أو زيادة درجة معجميّة هذا العنصر[1]، فقد رأينا فيما سبق رأي «ابن جنيّ» الّذي أورده «ابن منظور» حيث ذكر أنّ (سَوفَ) «حرف اشتقوا منه فعلًا فقالوا: سوّفْتُ الرّجل تسويفًا»[2]، وهذا معناه أنّ (سَوفَ) انتقلت من النّحو إلى المعجم بتحوّلها من الحرفيّة إلى الفعليّة، ومعنى هذا أيضًا أنّها انتقلت من صيغة غير معجميّة إلى عنصر معجميّ كامل الدّلالة، وتُسمى عمليّة الانتقال هذه «القلب Conversion»، وهي ظاهرة غير مألوفة نسبيًّا، ولكنْ لها شواهد في أغلب اللّغات[3]، ومنها في العربيّة أيضًا ما أورده «ابن جنيّ» دليلًا على تداخل أقسام الكلام في العربيّة قال: « إنّ كثيرًا من الأفعال مشتق من الحروف، نحو قولهم: سألتك حاجة فلوليت لي، أي قلت لي: لولا، وسألتك حاجة فلاليت لي، أي: قلت لي: لا، واشتقوا أيضًا المصدر -وهو اسم- من الحرف، فقالوا: اللالاة، واللولاة ... وكذلك قالوا: سوّفت الرّجل، أي: قلت له: سوف، وهذا فعل كما ترى مأخوذ من الحرف ... وأنا أرى أنّ جميع تصرف (ن ع م) إنّما هو من قولنا في الجواب: نَعَمْ، من ذلك النّعمة والنّعمة، والنّعيم والتّنعيم، ونعمت به بإلا، وتنعّم القوم، والنُّعْمَى، والنّعماء، وأنعمت به له، وكذلك البقية، وذلك أنّ (نَعَمْ) أشرف الجوابين، وأسرهما للنفس وأجلبهما للحمد ... لما فيها من المحبة للشّيء والسّرور به ... [فـ] الحروف يشتق منها، ولا تشتق هي أبدًا، وذلك أنّها لمّا جمدت فلم تتصرف شابهت بذلك أصول الكلام الأول الّتي لا تكون مشتقة من شيء»[4]، وإذا كانت نهاية كلام ابن جنيّ تقدح في إنحاء (سوف) من الاسم أو الفعل، فإنّني أظن أنّ الحديث عن الاشتقاق أمر مختلف عن التّطوّر أو الإنحاء، كما أظن أنّ هذا الحديث يثبت إنحاء (الفعل من الحرف) ولا يقدح في إنحاء السّين من (سوف) الفعليّة أو الحرفيّة بدليل قول «ابن منظور»: «قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام»، ولكنْ يمكن لنا الإفادة من ملاحظة «ابن جنيّ» هذه في ضبط بعض الأمور المتعلقة بمسار الإنحاء واتجاهه، وتبقى المسألة مفتوحة للاجتهاد ما لم نعثر على شواهد موثقة تاريخيًّا تمكّننا من معرفة متى بدأ التّغيّر ومتى انتهى وبأي صيغة، وهنا يأتي دور المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، وعليه فإنّ البحث يشدد في مواضع كثيرة على ضرورة التّكامل بين جهود أصحاب المعجم التّاريخيّ وباحثيّ الإنحاء. وقبل أنْ نترك حديث «ابن جنيّ» أشير إلى مَلحظ مهم يجب التّنبيه إليه بخصوص فرضيّة أحاديّة الاتجاه UD والرّأي الّذي يمكن أنْ نجده لدى «ابن جنيّ» إزاء هذا الملحظ، فالقول بهذه الفرضيّة وفق الصّياغة المعممة لها أو ما أصبح يُطلق عليه فرضيّة أحاديّة الاتجاه القوية Strong UD[5]؛ أي بتطوّر الصّيغ النّحويّة فقط عن صيغ معجميّة، قولٌ أحد معانيه التّسليم بأنّ جميع عناصر اللّغة كانت في مرحلة ما من مراحل تطوّرها السّابقة عناصر معجميّة فقط، فقد ذكر «ابن جنيّ» في «باب في هذه اللّغة: أفي وقت واحد وُضِعت أم

---

1) after John van der Auwera 2002: More Thoughts on Degrammaticalization. p.20. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

[2]) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد التّاسع، ص164.

3) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.58.

[4]) ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: 392ه) : الخصائص، مرجع سابق، المجلد الثّاني، ص23: 25بتصرف.

5) adapted from Roger Lass 2000: op. cit. p.218.

تلاحق تابعٌ منها بفارطٍ؟» أنّه «يجوز أنْ يكونوا عند التّواضع قدّموا الاسم قبل الفعل، ويجوز أنْ يكونوا قدّموا الفعل في الوضع قبل الاسم، وكذلك الحرف، وذلك أنّهم وزنوا حينئذٍ أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم، فعلموا أنّهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، وأنّها لابد لها من الأسماء والأفعال والحروف، فلا عليهم بأيها بدءوا، أبالاسم أم بالفعل أم بالحرف؛ لأنّهم قد أوجبوا على أنفسهم أنْ يأتوا بهن جُمَعَ، إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن»[1].

- **الفقد والاكتساب**

إنّ معنيّة أنْ ينتقل العنصر من المعجم إلى النّحو أنْ تتغيّر سماته وصفاته، فالإنحاء بحسب «هين» و«ريه» تطوّر تفقد من خلاله الوحدات اللّغويّة تعقيدها الدّلاليّ، وسمتها التّداوليّ، وحريتها التّركيبيّة، ومادتها الصّوتيّة[2]، ويرى الدّكتور «السّيسيّ» أنّ الأمر هنا غير محصور في فقد هذه السّمات، بل اكتساب سمات جديدة، فعلامة المستقبل (سَ) فقدت بإنحائها المحتوى الدّلاليّ، وانتمائها إلى «فئة كلاميّة مفتوحة Open Class»، كما فقدت استقلالها التّركيبيّ، ومادّتها الصّوتيّة، ولكنّها حصّلت في مقابل هذا تغيّرًا في المعنى، ومدى متسعًا من السّياقات، ودرجة كبيرة من التّواتر، وعموميّة دلاليّة، وأصبحت في النّهاية جزءًا من التّصريف Paradigm[3]. فالإنحاء آليًا يتضمن عمليات أربعة: الأولى هي «الخفوت الدّلاليّ Semantic Bleaching»[4] أو «فقد المعنية Desemanticization» حيث تفقد العناصر جزءًا كبيرًا من محتواها الدّلاليّ، والثّانية هي «التّوسع Extension» أو «التّعميم السّياقيّ Context Generalization» حيث يتم استعمال العناصر في سياقات جديدة، أمّا الثّالثة فهي «فقد الانتماء المقوليّ Decategorialization» حيث تفقد العناصر السّمات الصّرفيّة والتّركيبيّة، والعملية الرّابعة هي التّآكل Erosion أو «التّقلص الصّوتيّ Phonetic Reduction» وفقد المادة الصّوتيّة، وعلى الرّغم من أنّ ثلاثة من هذه

---

[1]) ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: 392ه) : الخصائص، مرجع سابق، ص21.

2) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.15.

3) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

[4]) واحد من المفاهيم المهمة في دراسة الإنحاء يشار به إلى فقد العناصر المعجميّة لمعناها أو حالاتها المقوليّة حيث تتحوّل إلى مجرد علامات تؤدي وظيفة نحويّة، ولهذا المفهوم عدد غير قليل من المصطلحات الّتي تعبر عن مضمونه وهي: الضّعف الدّلاليّ Semantic Weakening) Guimier 1985:157)، وفرضيّة الاحتواء Containment Hypothesis (Willett 1988:80)، والتّجريد Abstraction (Hein et al 1991:41-45)، والتّعميم الدّلاليّ Semantic Generalization، والخفض الدّلاليّ Semantic Reduction (Bybee et al 1994: 6)، والنّضوب الدّلاليّ Semantic Depletion (Lehmann 1995:127)، وفقد المعنيّة Desemanticization (Weinreich in Lehmann 1995:127)، نقلًا عن (وقد قمتُ بترتيبها تاريخيًا): Mohssen Esseesy 2009b: Semantic Bleaching. p.160 in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (160-4) Leiden, Boston: Brill.

العمليات تنطوي -كما نرى- على فقد بعض الخصائص وخسارتها فإنّ هناك مجموعة من الخواص المميزة الّتي تكتسبها هذه العناصر من استعمالها في سياقاتها الجديدة[1].

- **أفعال الشُّروع ومبدأ الاستمراريّة**

فالصّيغ المُنحاة يمكن أنْ تكتسب علاقات صرفيّة-تركيبيّة لم تكن لها من قبل في مقابل فقدها لبعض السّمات والخواص، ومثال هذا الفعل «أخذ» عندما يستعمل كفعل معجميّ في مثل (أخذ الولد الكتاب) يمكن أنْ يتصرف زمنيًّا فيدل على الماضي والحاضر، أو أنْ يُبنى للمجهول، أو أنْ يتبادل رتبته مع فاعله ومفعوله، ويمكن أنْ تسبقه أداة نفي، ولكنْ عند إنحائه في مثل (أخذت الرّيح تعصف) ستتقيد رتبته، ويصبح منتميًا إلى فئة مغلقة من الأفعال الّتي تُسمى «أفعال الشُّروع/ الإنشاء»[2]. واتصالًا بهذا الصّنف من الأفعال في العربيّة من جهة وبأحد مبادئ الإنحاء من ناحية أخرى، أود أنْ أشير هنا إلى «مبدأ الاستمراريّة Persistence»، ومفاده أنّ المصادر المعجميّة رغم خضوعها لعملية الإنحاء وفقد بعضها مادته المعجميّة، فإنّ هناك حالات عديدة تستمر فيها معاني هذه العناصر الأصليّة بدرجات مختلفة، بل إنّ هذه المعاني لتؤثر في الوظائف النّحويّة الّتي تحوزها العناصر المُنحاة خلال مساراتها الإنحائيّة (انظر فرضيّة تحديد المصدر في الصّفحات التّالية من البحث)، وهذا معناه أنّ هناك آثارًا دلاليّة مصدرها المعاني المعجميّة الأصليّة لتلك العناصر الّتي تنعكس في صورة قيود تحكم توزيعها النّحويّ النّاجم عن الإنحاء[3]، والمثال الّذي يضربه الدّكتور «السّيسيّ» نموذجًا لهذا المبدأ يتمثّل في الفعل (قام) حيث يتم إنحاؤه فيدخل ضمن فئة أفعال الشُّروع في قولنا: قامت المرأة تنوح. ففي رأيه أنّ المفهوم الأساسيّ لهذا الفعل لم يختفِ بشكل كامل، بل إنّه مستمر في فرض بعض القيود على مدى العلاقات الدّلاليّة لصيغته المُنحاة؛ فلا يدخل هذا الفعل (وهو من أفعال الشُّروع) في علاقات تركيبيّة مع أفعال أخرى تناقض مفهومه حيث تعدُّ جملة "قامت المرأة تنام" جملة غير نحويّة بسبب التّضاد الحاصل بين "قامت" و"تنام"، وذلك عند مقارنتها بالبنية النّحويّة: "قامت المرأة من النوم"[4].

- **الأفعال النّاقصة ومعجميّة التّصنيف النّحويّ**

أمّا عن الأفعال النّاقصة في اللّغة العربيّة سواءٌ في الفصحى التّراثيّة أو في الدّوارج واللّهجات المعاصرة، فالنّواسخ الفعليّة مثل (كان) وأخواتها تعدّ أفعالًا ناقصة Incomplete (المعجميّة) بعكس الأفعال التّامة Complete[5] كاملة (المعجميّة)؛ إذ تقتضي الأخيرة وفق قيود الانتقاء المقوليّة والدّلاليّة «اسمًا» يكون فاعلًا تقع به، واسمًا أو جملة يكون مفعولًا تقع عليه،

---

1) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: World Lexicon of Grammaticalization. p.2. Cambridge University Press.

2) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

3) see Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.96.

4) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.196.

5) for more details see Hana Zabarah 2012: The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. pp.115-25. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.

ولأنّ هذه النّواسخ «ناقصة» فهي لا تدل على أكثر من إطار زمنيّ للجملة الّتي تحتويها، وتدلّنا على هذا معالجة «سيبويه» لهذه الأفعال فقد أوردها في باب (الفعل الّذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد)[1] وذكر أنّ كون اسم الفاعل هو عينه اسم المفعول يجعل هذا النّوع من الأفعال صنفًا مميزًا يقول: «فمن ثَمّ ذُكِرَ [هذا الفعل] لحدته [وخاصيته المميزة]»[2]، ثُمّ قال: «ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل كما لم يجز في ظننت الاقتصار على المفعول الأول؛ لأنّ حالك في الاحتياج إلى الآخر ههنا، كحالك في الاحتياج إليه ثمّة»[3]، ثُمّ مثّل «سيبويه» لهذه الأفعال بمجموعة صغيرة منها «كان ويكون، وصار، وما دام، وليس»[4]، وترك عنوانًا عريضًا لما يمكن أنْ يسلك سلوك هذه الأفعال فقال: «وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر»[5]، فـ«سيبويه» - وإنْ فُهِمَ من عنوان الباب أنّه يجعلها أفعالًا فقد - جعل لها اسمًا للفاعل واسمًا للمفعول هو عينه اسم الفاعل، ولم يجعل لها فاعلًا ومفعولًا بالمعنى الّذي نجده مع غيرها من الأفعال التّامّة الحقيقيّة، وفطن «سيبويه» إلى أنّ هذه الأفعال وإنْ كان يجوز في تراكيبها ما يجوز في تراكيب غيرها من الأفعال من التّقديم والتّأخير إنّما تدل فقط على الزّمان، يقول: «تقول: كان عبد اللّه أخاك، فإنّما أردت أنْ تخبر عن الأُخوة، وأدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى ... وإنْ شئت قلت: كان أخاك عبد اللّه، فقدّمت وأخرت كما فعلت ذلك في (ضرب) لأنّه فعل مثله، وحال التّقديم والتّأخير فيه كحاله في (ضرب)، إلا أنّ اسم الفاعل والمفعول فيه سواء»[6]، فهذه الأفعال النّاقصة تسلك السّلوك التّركيبيّ نفسه للأفعال التّامة، والفرق أنّها ليست أفعالًا بقدر ما هي علامات دالة على الزّمان وبقدر كون هذا السّلوك جزءًا مما اكتسبته بمعاملتها معاملة الأفعال الأُخرى، ويبدو هذا جليًا في قول «سيبويه»: «وقد يكون لـ(كان) موضع يقتصر على الفاعل فيه، تقول: قد كان عبد اللّه، أي قد خُلِق عبد اللّه، وقد كان الأمر، أي وقع الأمر، وقد دام فلان، أي ثبت، كما تقول: رأيت زيدًا، تريد رؤية العين، وكما تقول: أنا وجدته، تريد وجدان الضّالة، وكما يكون أصبح وأمسى مرة بمنزلة (كان)، ومرة بمنزلة استيقظوا وناموا»[7]، ثُمّ ضرب «سيبويه» مثالين وردت فيهما (كان) بمعنى (وقع)، الأول لـ«مقّاس العائذيّ»، والثّاني لـ«عمرو بن شأس»[8]. وكي يتأكد لنا هذا دعنا ننظر في رؤية النّحاة بعد «سيبويه» لـ(كان) وأخواتها كما أشارت إليها دراسة Hana Zabarah 2012، فـ«المبرد» (ت: 282ه) يرى أنّها أفعال صحيحة (لأنّها تتصرف تصرف الأفعال في الزّمن ومع الضّمائر المختلفة)، ولكنّها أفعال غير حقيقيّة (لأنّ اسمها وخبرها الشّيء نفسه)، وهي لا تغيّر معنى الجملة إنّما تشير فقط إلى زمنها، ويرى «ابن السّراج» (ت: 318ه) أنّها أفعال غير حقيقيّة لأن الفعل الحقيقيّ هو ما

---

[1]) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: 180ه): الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، 1988، المجلد الأول، ص45.

[2]) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

[3]) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

[4]) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

[5]) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

[6]) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

[7]) سيبويه: الكتاب، السّابق، ص46.

[8]) انظر سيبويه: الكتاب، السّابق، ص46، 47.

دلّ على معنى وزمان، أمّا (كان) وأخواتها فتدل على الزّمان فقط. أمّا «الزّجاجيّ» (ت: 340ه) فقد تجنب استعمال مصطلح (الفعل) وعدّ (كان) وأخواتها حروفًا، فإذا وصلنا إلى «البطليوسيّ» (ت: 521ه) وجدنا قوله إنّ «الفعل الصّحيح إنّما وُضع في أصل وضعه ليدل على حدث واقع في زمان مُحصّل، وذلك الحدث هو خبره الّذي يستفيد المخاطب منه إذا ذُكِر، وذلك الحدث الّذي هو خبره مُضمّن فيه غير خارج عنه، وأحداث هذه الأفعال الّتي هي أخبارها خارجة عنها غير مُضمّنة فيها»[1].

إنّ هذه المقاربات وإنْ كانت «نحويّة» بالأساس قصدت إلى بيان علاقة الكلمات بعضها ببعض داخل الجمل ودلالة مثل هذه العلاقات، فإنّها لم تغفل «معجميّة» الأفعال أساسًا للتفريق بين ما هو فعل حقيقيّ وما هو فعل غير حقيقيّ، فـ(كان) وأخواتها أفعالٌ غير حقيقيّة لأنّها فقدت دلالتها على الحدث الّذي يَفيده المخاطب متى ما سمع الفعل في أقل سياق أي مُنفردًا؛ إذ أصبحت أحداثها -بتعبير «البطليوسيّ»- خارجة عنها غير مُضمّنة فيها، وهذا ربما السّبب الّذي حدا بـ«الزّجاجيّ» أنْ يجعلها حروفًا أو قل بالمصطلح المعاصر كلمات وظيفيّة، فـ«الفقد التّدريجيّ للسّمة المميزة للأفعال، والاكتساب التّدريجيّ لسمات نحويّة مختلفة هما السّبب وراء صعوبة تصنيف الأفعال النّاقصة ووراء الخلاف بين النّحاة الآنيّين في النّظر إلى هذه العناصر بوصفها أفعالًا أو عدّها مقولة قائمة بذاتها»[2]، وتأكيدًا على ما سبق من رؤى النّحاة العرب لـ(كان) وأخواتها أورد «ابن منظور» لـ(كان) التّامة العديد من المعاني المعجميّة منها: وَقع/ وُجِد واستقر/ خُلق/ مَضى وتَقضّى[3]، وله على كل معنى من هذه المعاني شاهد أو أكثر من الشّواهد الموثّقة. أمّا عن (كان) النّاقصة في هذا المعجم فأكتفي فيها بما اقتبسه «ابن منظور» عن «ابن بري» قال: «واعلم أنّه يُلحق بباب (كان) وأخواتها كلُ فعلٍ سُلِبَ الدّلالة على الحدث، وجُرِدَ للزّمان، وجاز في الخبر عنه أنْ يكون معرفة ونكرة، ولا يتمُّ الكلام دونه، وذلك مثل: عاد ورجع وآض وأتى وجاء وأشباهها»[4]. وهنا نرى أنّ مثل هذه الأفعال فقدت دلالتها على الحدث واكتسبت معنى نحويًا (وفق آليّة فقد المعنيّة)[5]، أضف إلى هذا أنّها فقدت الخصائص المميزة للأفعال الحقيقيّة وتجردت فقط للدلالة على الزّمن (وفق آليّة فقد الانتماء المقولي)[6]، هذا بالإضافة إلى آليّة (التّآكل الصّوتي)[7] فقد رأت إحدى الدّراسات أنّ (كَ Ka) في الدّارجة المغربيّة في مثل: (كيكتب

---

1) see Hana Zabarah 2012: op. cit. p.118; 119; 120; 122.

2) adapted from Joan Bybee & Joanne Scheibman 2007: The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. p.295. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press.

3) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد الثّالث عشر، ص365 وما بعدها.

4) ابن منظور : السّابق نفسه، ص368.

5) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2002: On the Evolution of Grammatical Forms. p.379. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. pp. 376-97. Oxford University Press.

6) see Ibid., p.379.

7) see Ibid., p.379.

Ka-yekteb) هي صيغة متبقية من الفعل (كان)[1]، وترى الأستاذة «ثُريا عَامِر» أنّه «يمكننا أنْ نؤول التّطوُّر الحاصل في قائمة الأفعال النّاقصة باشتغال آليتيّ «القياس Analogy» و«إعادة التّحليل Reanalysis» في نسج فعلٍ (ب) على منوال فعلٍ آخر (أ) يشبهه في وجه من الوجوه، فيستحدث للفعل بنية نحويّة جديدة يُصنّف على أساسها ضمن مجموعة الأفعال النّاقصة، مثال ذلك ما ذكره «الرّضي» في «كَمُلَ» الّتي لا يذكرها «سيبويه» ولا «ابن يعيش» قبله، فيذكر المثال التّالي مستدلًا على وجه استعمال «كَمُلَ» ناقصة: كَمُلَ زيدٌ عالِمًا، أي: صار»[2].

إنّ القضية الآن بالنّسبة إلى المعجميّ لم تعد فقط دلالات قائمة الأفعال النّاقصة المعروفة، بل كافة الأفعال الّتي تنسحب عليها سمات أفعال هذه القائمة فتؤدي أداءها ومعناها قياسًا. إنّ ثمّة فرقًا بين فعلٍ تامّ معجميًا له دلالة وسلوك تركيبيّ واضحان، وبين فعلٍ ناقصٍ يفقد جزءًا كبيرًا من معناه الّذي وُضع له؛ ليسلك سلوك الأفعال الأُخرى وإنْ كانت دلالته تَخلُص في إطار هذا السّلوك لمعنى مختلف وثابت؛ لذا فإنّ فقد الأفعال النّاقصة لجزءٍ من معناها وخلوص عناصرها لنمطٍ تركيبيّ مختلف له ما يميزه عن غيره من مناويل الأفعال الأخرى لهو دليلٌ على سلوك هذه العناصر لمسارٍ معين من مسارات الإنحاء. إنّ القضية تتعلق هنا بضرورة معرفة ما هو نحويّ وما هو معجميّ، فهذه المعرفة تعدُّ أساسيّة في دراسة الإنحاء من ناحية، وفي صناعة المعجم أيًا كان نوعه من ناحية أُخرى، وأضرب هنا مثالًا من بحث الدُّكتور «جورج متري عبد المسيح» صاحب معجم «لُغة العرب» يوضح أهمية هذه القضية، وهو وإنْ كان مثالًا مُطوّلًا لكنّه مهم في هذا السّياق، يقول د. «جورج» تعليقًا على مادة (خَلْفَ)[3] في بعض المعاجم

---

1) see Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet 2009: The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.44. Mouton de Gruyter. pp. 325-361.

[2] ثُريَا السّكريّ عَامِر : مرجع سابق، ص97، 98. والقياس l'analogie بالنّسبة إلى مايبه قادر على إعادة التّفاصيل المتعلقة بالصّيغ وتجديدها مع الاحتفاظ بالصُّورة الكليّة للنظام النّحويّ الموجود والدّوران في فلكه. see Antoine Meillet (Ed.) 1948: op. cit., p.133، أمّا إعادة التّحليل Reanalysis فهي بحسب رولاند لانجكير Roland W. Langaker 1977 تغيُّر بنية تعبير معين أو فئة كاملة لا يصحبه تعديل مباشر أو جوهريّ في المظهر السّطحيّ لهذا التّعبير، ويعرّفها آلن تمبرلاك Alan Timberlake 1977 بأنّها صياغة فئة جديدة عن طريق العلاقات والقوانين الكامنة.
after Mohssen Esseesy 2009a: Reanalysis. P.37. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (37-43) Leiden, Boston: Brill.

وكلتا الدّراستين تجدهما في:
James Li 1977 (Ed.): Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

[3] د. جورج متري عبد المسيح (2014) 2016: دورُ المعجم العربيّ في إحياء التّراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، بحث أُلقي في الموسم الثّقافيّ لدار الآثار الإسلاميّة بدولة الكويت،

العربيّة، وقد اخترت هذه الكلمة لأنّه يُنظر إليها في إحدى دراسات الإنحاء في اللُّغة العربيّة على أنّها صيغة منحاة عن الاسم (الخلف)[1]، فأردت من وراء هذا المثال أنْ نتبيّن علاقتها بهذا الاسم داخل المعاجم العربيّة، وأنْ نستكشف خصائص المعالجة المعجميّة لهذه الكلمة والنّتيجة الّتي يمكن أنْ تترتب على معرفة المعجميّ أنّها منحاة:

(خَلْفَ) ظَرْف بِمَعْنى: مَوْجود في مَكان غَيْر مُواجِه وغير جانِبيّ، وهو مَنْصوب إذا أُضيفَ: جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْره، أو إذا قُطِعَ عن الإضافة لَفْظًا ومَعْنًى: جَعَلَهُ خَلْفًا؛ ويُبنَى على الضَّمّ إذا قُطِعَ عن الإضافة لَفْظًا لا مَعْنًى: جَعَلَهُ خَلْفُ أي خَلْفَهُ، مَرَّ مِنْ خَلْفُ أي من خَلْفِهِ.

- وَرَدَت (خَلْف) في مَدخل مُستقِلّ لأنّها مادّة لغويّة - نحويّة أو نحويّة - لغويّة، لا يَجوز حَشْرها مع المدخل - الاسم (الخَلْف)؛ فهي لا تَدخلها (أل)، ولا تُجمَع مثل (الخَلْف) الاسميّة على أخْلاف وخُلوف. ولا تُصبح اسمًا إلّا إذا خرجت عن الظَّرفيّة... ولذلك فإنّ حَشْرها مع مادّة (الخَلْف) في المَعاجم الجذريّة الترتيب تصنيف أو ترتيب في غير مَحَلّه...
- وَرَدَت في حالة النَّصْب مُراعاة لِأحوالها الغالبة... وهي تُبنَى على الضّمّ في محلّ نصب في حالة واحدة... ولذلك فإنّ المعاجم القديمة والحديثة: أخطأت في ترتيبها وفي تَحريكها إعرابيًا بحيث غَلَبت الأقلّ على الأكْثر عندما وضعت (ضَمَّةً) على الفاء. والأسوأ أن بعض المعاجم النُّطقيّة الترتيب، (معجم عبد النور المُفصّل) الثُّنائيّ اللُّغة، عربيّ فرنسيّ، وَضَعَ ضَمَّتين على الفاء (خَلْفَ)، ومن نافل القول أنّ (خَلْفَ) لا تُترَك بدون تَحريك...
- يَتَّسم تعريف (خَلْف) في المعاجم بالقصور والدَّوْر، ففي (المُعجَم الوسيط) مثلًا، وَرَدَ في مادّة (الخَلْف): ضدّ قُدّام (مؤنّثة) يكون ظَرْفًا [تكون: أوْلَى]، وقد يَخرج عن الظَّرْفيّة فينصرف.
- إذا بحثنا في الوسيط عن (قُدّام) وَجَدْنا أنّها: ظَرْف بمعنى أمام، فإذا فتّشنا عن (أمام) وجدنا أنّها: ظرف بمعنى قُدّام، وهكذا تَتَّسم التعريفات بالقصور وبالدَّور... وقد اضطرّ الوسيط في آخر التّعريف إلى أنْ يقول: يكون ظَرْفًا وقد يَخْرج عن الظَّرفيّة فينصرف، لأنّه ذَكَرَها مع المادّة الاسميّة (الخلف). أمّا قوله: فينصرف ففيه تَرخُّص في التّعبير، لأنّ المَقصود (فيتصرَّف) أي لا يلازم النَّصب على الظَّرفيّة...
- (مؤنّثة) ليست دقيقة لأنّها من الكلمات التي تُؤنَّث وتذكَّر، وهنا بالذات ليس لها ضرورة لأنّها ليست موصوفًا لنَحتاج إلى تأنيث صفته أو تَذكيرها.
- وأخيرًا فإنّ كلمة (خَلْف) تنتمي إلى مَجموعة معجميّة - نحويّة أو نحويّة - مُعجميّة تُسمّى (ظروف الغايات) ومن أفرادها: أسْفَلَ، أمامَ، بَدَلَ، بَعْدَ، تَحْتَ، دونَ، شَمال، فَوْقَ، مَكان، وراء، يَمينَ...

وعلى الصّناعة المعجميّة العلميّة أنْ تراعي:

- وجودها في المُعجَم الشّامل (قانون التّكامل).
- توحيد شروحها (قانون التّماثُل).
- تمييز مَوادّها بأنْ تكون الواحدة منها مَصروفة، والأخرى ممنوعة مثلًا (قانون المغايرة).

بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ص19وما بعدها، أعيد نشره ضمن كتاب «المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، الجزء الثّالث»، إعداد د. منتصر أمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأولى، انظر ص93 وما بعدها.

1) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

▪ ومُراعاة هذه القوانين أو المبادئ دليل على عَقْل تنظيميّ، وعلى وَعْي لغويّ وعلميّ، وعلى وجود مَنهَج، صَريح، أو ضمنيّ ناظم للموادّ، ولو لم يُصرَّح به المعجميّ...

نرى من خلال هذا المثال أنّ (خلف) تنتمي كما ذكر الدُّكتور جورج إلى مجموعة (نحويّة / معجميّة) أو (معجميّة / نحويّة) وهذا معناه أنّ (1) على صاحب المعجم أنْ يعي الحدود بين ما هو معجميّ وما هو نحويّ، وما هو معجميّ تحول إلى نحويّ أو العكس، أمّا ملاحظة أنّ (خَلْف) لابد أنْ تشكّل مدخلًا مستقلًا بعيداً عن الاسم (الخلف) لأنّها لا تقبل الألف واللام، ولا تُجمَع، وغير هذا من علامات الاسم الّتي فقدتها، فكل هذا يدل على (2) ضرورة الفصل بين الصّيغة المُنحّاة والصّيغة الّتي تطوّرت عنها واعتبار كل واحدة منهما مدخلًا مستقلًا، ولكنْ لا يمنعنا هذا من (3) الإشارة إلى العلاقة الّتي تجمع بين الصّيغتين سواءٌ أكانت هذه العلاقة ناشئة عن الإنحاء أم عن الإعجام، مع وضع رمز معين لكل منهما.

• الخروج عن المسار

ولعلّ عنصرًا معيّنًا عند نقطة ما على مسار الإنحاء لابد أنْ يكون موسومًا بمجموعة معينة من الصّفات الصّوتيّة والفونولوجيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة الّتي تميّزه عما يسبقه أو يتلوه من العناصر المتصلة به على هذا المسار، وقد يخرج هذا العنصر عن المسار عند نقطة معيّنة دون غيرها، فإذا كان مسار الإنحاء يبدأ بعنصر معجميّ فليس من الضّروريّ أنْ ينتهي بلاحقة تصريفيّة كما في مخطط «هوبر» و«تروجت»؛ فالشّيء الأكبر أهمية في نظر الدُّكتور «السّيسيّ» أنّ اللّواصق التّصريفيّة ليست هي النّتيجة النّهائيّة لعملية الإنحاء، وهذا معناه أنّ فقد المورفيم أو تقليصه إلى الصّفر ربما يكون المحطة الأخيرة من تطوُّر بعض الصّيغ المُنحّاة كما في دورة تاملي جيفون Tamly Givón للإنحاء[1]:

الخطاب > التّركيب > المورفولوجيا > المورفيميات الصّوتيّة > صفر

فالعناصر المعجميّة كما يرى الدُّكتور «السّيسيّ» قد تترك مسار إنحائها عند نقطة تسبق مرحلة اكتماله، ولا تتقدم عليها خطوة إضافيّة، كما في حالة كثير من الأسماء والصّفات العربيّة الّتي تحوّلت إلى ظروف، مثل: (أحيانٌ > أحيانًا / كثيرٌ > كثيرًا)، ويُطلَق على مثل هذا التّحوُّل «عَكس المقولة Category Conversion»[2]، ويمكن لنا قياس (قريبٌ > قريبًا) و(بعيدٌ > بعيدًا) و(قليلٌ > قليلًا) وأشباهها على هذا الصّنف من التّحوُّل. وهذا معناه بالنّسبة إلى المعجميّ المؤرِّخ ألّا يتمّ الجمع والحال هذه بين الاسم والظّرف أو بين الصّفة والظّرف في مدخل واحد لاختلاف صنفهما المقوليّ من ناحية، ولسبق الأولى الثّانية من ناحية أخرى ما لم نجد من الشّواهد ما يخالف هذا.

فرضيّة تحديد المصدر

إنّ إحدى أهم الفرضيّات الّتي وضعتها بيبي وآخرون Joan Bybee et al 1994 في سبيل بناء نظريّة عن الإنحاء هي «فرضيّة تحديد المصدر Source Determination Hypothesis»[3] ومؤدى هذه الفرضيّة أنّ «المعنى الحقيقيّ للبنية موضع الإنحاء يحدّد بصورة أساسيّة مسار هذا الإنحاء، ويحدّد بالتّالي المعاني النّحويّة النّاجمة عنه»، وهذا يستتبع النّظر في المعاني الّتي تعمل بوصفها مصادر للإنحاء، فليست جميع المعاني قابلة للإنحاء، وإذا كان الإنحاء ينطوي على تغيُّر دلاليّ، فإنّ «التّغيُّرات الدّلاليّة الّتي تؤدي إلى الإنحاء وتستمر خلاله هي

1) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

2) Ibid., p.192.

3) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: op. cit., p.9.

التّغيّرات الّتي تضاعف عموميّة معنى الصّيغ المُنحاة»[1]، فالعناصر المعجميّة موضع الإنحاء تخضع بالفعل لتغيّرات دلاليّة تؤدي إلى تعميم يمثّل في العادة السّمات الدّلاليّة لمجالاتها الّتي تنتمي إليها، أمّا العناصر المعجميّة الّتي لا يمكن وسمها بعموميّة دلاليّة أو العناصر النّحويّة الّتي ربما تشترك في البنية المصدر، فهذه يمكن تأويلها -كما صنعت «بيبي» وآخرون[2]- كي تعادل حالات أفعال الوجود والملكيّة والتّموضع الفيزيائيّ والحركة في فضاء مكانيّ وغيرها من الأفعال الموسومة بالتّعميم، ولكنْ إلى جانب العموميّة الدّلاليّة هناك المفاهيم الأساسيّة الغير قابلة للاختزال الّتي تشكّل أساس المعاني النّحويّة في اللّغات البشريّة، هذه المفاهيم هي ما يجري عليه الإنحاء، ورأتْ «بيبي» وآخرون أنّ هناك دراسات أخرى توصلت إلى مثل هذه النتيجة؛ فـ«تروجت» Traugott (1982: 246) أشارت إلى أنّ المفاهيم المصدر هي المفاهيم الّتي تعدُّ أساسيّة في المواقف الكلاميّة، كذا لاحظ «هين» و«كلودي» و«هنمير» Heine, Claudi, and Hunnemeyer (1991: 33) أنّ التّصورات/المعاني المصدر موضع الإنحاء هي التّصورات الأساسيّة في التّجربة الإنسانيّة، وأنّها إلى حد كبير تصورات مستقلة ثقافيًا؛ لأنّه يتم فهمها وإدراكها بطريقة ثابتة رغم اختلاف اللّغات والأعراق[3].

وأحسب أنّ تلك النّتيجة يمكن دعمها وتأكيدها من خلال نتائج أخرى توصلت إليها بعض دراسات الإنحاء الّتي اهتمت بما يُطلق عليه «الخفوت الدّلاليّ» أي بالسّؤال عن طبيعة المعاني الّتي تفقدها العناصر المعجميّة أثناء رحلتها الإنحائيّة حيث ترى إحدى هذه الدّراسات أنّ ما تفقده العناصر المعجميّة في الإنحاء هو «المعاني غير المنطقيّة non-Logical Meanings»[4]، ومعنيّة هذا أنّ ما يتبقى لها هو المعاني الأساسيّة أو قُل الذّرات الدّلاليّة الأساسيّة الأكبر عموميّة، ولقد قرّر «هوبر» و«تروجت» أنّنا حين ننظر إلى «المعجم Lexicon» لا يمكن أنْ نتصوّر أنّه يتضمن فقط السّمات التّركيبيّة أو الصّوتيّة للعناصر المعجميّة، بل يجب أنْ يحفل إلى جوار هذه بسمات تلك العلاقات الدّلاليّة بين الكلمات داخل المجالات الدّلاليّة الّتي تتكون منها؛ إذ من المقترح أنّ المعاني المعجميّة القابلة للإنحاء هي المعاني الّتي تتسم بقدر عالٍ من العموميّة - أو ما اصطلحا عليه بـ«الكلمات الأساسيّة Basic Words» - في مقابل

---

1) Ibid., p.9.

2) see Ibid., p.9;10.

3) after Ibid., p.10.

والدّراسات المشار إليها في الاقتباس على التّوالي للإطلاع هي:

- Elizabeth Closs Traugott 1982: From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. 245-71. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

4) after Ian Roberts 2010: Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. p.66. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

الكلمات الأكبر خصوصيّة داخل المجال الدّلاليّ[1]، أضف إلى هذا أنّ العناصر القابلة للإنحاء تمثّل مظاهر أساسيّة وثابتة في علاقة الإنسان بالبيئة لاسيما البيئة المكانيّة[2]، ولعل أحد الأمثلة المهمة الّتي ضربتها «بيبي» وزميلاها في هذا الإطار هو استعمال الكلمات الدّالة على أعضاء جسم الإنسان في بنى نحويّة تشير إلى علاقات مكانيّة، وأشاروا إلى عدة دراسات قامت بتوثيق ظاهرة استعمال كلمة «Face» ليس بمعنى «وجه» إنّما بمعنى «في مقابل in front of» وذلك في عدة لُغات لا تجمع بينها صلة أو قرابة، الأكيد أنّ كلمة «Face» تعدُّ مميزة بمعناها حيث تشير إلى عضو محددٍ ومعقدٍ من أعضاء جسم الإنسان، ولكنْ لاحظ أنّها ليست «وجه» بهذا المعنى هي ما يدخل ضمن تلك البنى النّحويّة؛ فربما خضعت الكلمة لتعميم دلاليّ عن طريق المجاز كي تؤدي معنى «Front» كما في التّعبير الإنجليزيّ «the face of the cliff وجه الهاوية/مقدمة الهاوية»، ثُمّ دخلت -بعد أنْ دلّت على علاقة مكانيّة عامّة- مساراً إنحائيًا لِتصبح من خلاله حرف جر. ومن ثَمّ قرّر المؤلفون أنّه في سبيل تقصي أصل المعنى النّحويّ لابد أنْ ننظر في البعد التّركيبيّ والصّرفيّ لبنية المصدر، وليس في المعنى الإحاليّ لعناصرها المعجميّة[3].

المصدر والهدف

إنّ فرضية تحديد المصدر تؤكد على أنّ سمات دلاليّة معينة لها علاقتها -أولًا- بما يجوز إنحاؤه وما لا يجوز، وبالمسار الّذي يسلكه هذا الإنحاء -ثانيًا- وبطبيعة المعاني النّاجمة عنه -ثالثًا- وبالعلاقة بين مصدر الإنحاء (الكلمة أو الصّيغة أو البنية الّتي يسري عليها الإنحاء) وهدفه (الصّيغة النّهائيّة النّاشئة عن الإنحاء) -رابعًا- ولها كذلك أثرها في طبيعة هذه العلاقات. فالإنحاء إذن ليس مسألة اعتباطيّة إنّما هناك جملة من الخصائص الّتي تميز الصّيغ القابلة للإنحاء استنبطها الباحثون من خلال جرد سمات العديد من هذه الصّيغ في لُغات مختلفة. وتؤكد «بيبي» بشأن المصادر المفاهيميّة لعمليّة الإنحاء أنّ العلاقة المكانيّة بين شيئين دائمًا ما يتم التّعبير عنها في كثير من اللُّغات عن طريق علاقة أحد أعضاء جسم الإنسان ببقية الأعضاء الأُخرى؛ وعليه فإنّ الاسم رأس Head يشارك في معنى حروف الجر on the top of / top / on، ويستعمل الاسم خلف Back في معنى in back of، أمّا الاسم وجه Face فيستعمل في معنى in front of، كذا قرّرت أنّه من خلال تقصي هذه الوحدات العلاقيّة في 125 لُغة إفريقيّة، توصّلت دراسة «هين» ورفيقاه 1991 Heine et al إلى أنّ أكثر من ثلاثة أرباع العناصر (المفردات) مشتقة من أسماء أعضاء جسم الإنسان، أمّا سفورو 1993 Svorou فقد توصّل من خلال بحث أمثلة مختلفة من جميع الفصائل اللّغويّة إلى أنّ أعضاء الجسم البشريّ هي مصدر هذه الوحدات العلاقيّة، أضف إلى هذا أنّ العلاقة بين هذه العناصر المكانيّة والنّظام النّحويّ المجرد تمّ التّأكيد عليها منذ السّبعينيّات حين اقترح أندرسون 1971 Anderson نظريّة لـ«الحالات النّحويّة Grammatical Cases» تقوم بالأساس على العلاقات المكانيّة[4]. وعلى الرّغم من أنّ بعض الأمثلة السّابقة

---

1) adapted from Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.101f.

2) after Joan Bybee 2003: op. cit., P.151.

3) after Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: op. cit., p.10-11.

4) see Joan Bybee 2003: op. cit., P.152.

والدّراسات المشار إليها في الاقتباس على التّوالي للإطلاع هي:

ربما تقترح علاقة أحاديّة (من واحد إلى واحد) بين المفهوم المصدر والهدف؛ بمعنى أنّ ناتج عملية الإنحاء عنصر وحيد، يرى الدُّكتور «السِّيسيّ» العلاقة بينها على العكس من هذا علاقة (واحد لمتعدد)؛ بمعنى أنّ مفهوم مصدر وحيد يمكن أنْ يكون له أكثر من هدف؛ أي أنّ إنحاء هذا المصدر ينتج الكثير من العناصر والصّيغ المرتبطة بهذا المصدر، وشاهده على هذا من العربيّة كلمة (سواء)، فالصّيغ المُنحّاة عن هذه الكلمة تتضمن الرّابط (سواءً)، وأداة الاستثناء (سوى)، و(لاسيما)، فهذه الأمثلة برأيه شاهدة على ما اصطلح عليه كولت كريج Colette Craig سنة 1991 بـ«الإنحاء المتعدد Polygrammaticalization»[1]. ومن أمثلة الإنحاء المتعدد أيضًا (حتى)، يقول «ابن منظور»: «قال «الأزهريّ»: ... وقال بعضهم (يقصد: النّحويّين): حَتَّى فَعْلى من الحتّ، وهو الفراغ من الشّيء مثل شَتَّى من الشّتّ، ... وقال «الجوهريّ»: حَتَّى فَعْلى، وهي حرف»[2]، ومن المعاني الأخرى التي ذكرها «الجوهريّ»: تكون جارة بمنزلة (إلى) في الانتهاء والغاية، وتكون عاطفة بمنزلة الواو، وقد تكون حرف ابتداء، يُستأنف بها الكلام بعدها»[3]، ويرى الدُّكتور «السِّيسيّ» أنّ مثل هذه المعاني الدّلاليّة والوظائف النّحويّة لكلمة (حتى) توضح لنا أنّ هذه الكلمة المشتقة من مصدر اسميّ جرى عليها ما يسمى «إعادة تحليل Reanalysis»[4] فاستعملت كحرف جر وكأداة، وأنّ من آثار إعادة التّحليل تعدد الوظائف والعلاقات التّركيبيّة الخاصّة بهذه الكلمة[5]، ولكنّه يرى من ناحية أُخرى أنّه ربما ينشأ عن الإنحاء المتعدد غموض دلاليّ وتركيبيّ، مثال هذا استعمالنا (حتى) كحرف جر في مثل قولنا: أكلتُ السّمكة حتى رأسها. الّذي يتعارض مع استعمالها كأداة حيث يصبح المعنى: (أكلتُ السّمكة، وحتى الرّأس أكلتُها)[6].

إنّ وجود أسماء أعضاء جسم الإنسان في صدر مسار إنحائيّ تثمر نهايته عن حرف جر يتمتع بمفهوم دلاليّ تضمّنته دلالات هذا الصّدر أو المصدر باصطلاح أهل الإنحاء ووفقًا

- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.
- S. Svorou 1993: The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- J. M. Anderson 1971: The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press.

1) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

ودراسة كولت كريج المشار إليها عنوانها:

- Colette Craig 1991: Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.2: 455-92. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

[2] ابن منظور : مرجع سابق، المجلد 2: ص23، 24.

[3] ابن منظور : السّابق نفسه، ص24.

[4] راجع الهامش رقم 82 من هذا البحث.

5) see Mohssen Esseesy 2009a: op. cit. p.39.

6) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

لـ«فرضيّة تحديد المصدر SDH» يذكّرنا بمقاربة «بروكلمان» لحروف الجر في اللّغات السّاميّة - الّتي أشرت إليها في بداية هذا البحث - حيث افترض أنّ حروف الجر في اللّغات السّاميّة تطوّرت عن الأسماء الّتي تشير إلى أعضاء جسم الإنسان، وأنّ تطوّرها هذا مرّ بمراحل أربعة من خلال آليّات ثلاثة هي: فقد المحتوى الدّلاليّ (من المرحلة الأولى إلى الثّانية)، و«التّحجر fossilization» (من المرحلة الثّانية إلى الثّالثة)، والتّقلص إلى وظيفة نحويّة خالصة (في المرحلة من الثّالثة إلى الرّابعة)[1]. وفي اللّغة العربيّة واتصالًا كذلك بالمصادر المفاهيميّة للإنحاء وسمات العناصر المُنحّاة أشار الدّكتور «السّيسيّ» إلى أنّ أسماء أعضاء جسم الإنسان الّتي تشير إلى علاقات مكانيّة يتم إنحاؤها كحروف جر: (فو - فم> في)، و(وسط> وسط)، و(خلف> خلف)، و(قدم > قدام)، على عكس العناصر المحدّدة دلاليًا مثل (كاحل-رمش-وغيرها)[2]. وجدير بالذّكر هنا أنّ الدّكتور «السّيسيّ» قارب في رسالته للدّكتوراه الّتي نشرتها Brill سنة 2010 إنحاء حروف الجر في اللّغة العربيّة، وقد قامت الدّراسة على مدونة لا بأس بها[3] من النّصوص العربيّة القديمة والمعاصرة (شملت القرآن الكريم، وألف ليلة وليلة، وبعض الرّوايات والأعمال الإبداعيّة المعاصرة بالإضافة إلى عددٍ لا بأس به من الأعمال السّياسيّة والثّقافيّة، وبعض الصّحف المصريّة كالأهرام والحياة والوطن والتّجديد، والكتابات اللّهجيّة مثل دردشة مصريّة)، وكان من الإجراءات اللّافتة في هذه الدّراسة توسيع فئة حروف الجر اعتمادًا على التّشابهات الوظيفيّة المشتركة بينها وبين فئات وظيفيّة أخرى لتشمل على سبيل المثال بعض الظّروف كفئات فرعيّة لها[4]: لذا تجده في الاقتباس السّابق يجمع بين (في ووسط وخلف وقدام)، وتتلخص وجهة نظره في أنّ الوظائف المتعددة الّتي تؤديها مثل هذه الفئات أو مُتّصل الوظائفيّة التّدرُجيّ Gradational Continuum of Functionality[5] الخاصّ بها يتحدى ذلك التّصنيف التّراثيّ الضّيق، وأنّه من غير المنطقيّ أنْ يتم حصر هذه الكلمات في مقولة تركيبيّة لا تعكس ذاك المدى الواسع من وظيفيّتها أو استعمالاتها داخل السّياقات المختلفة[6]. وبغض النّظر عن تصنيفه لهذه العناصر والعناصر المشابهة لها وظيفيًا فإنّ مناقشة صحة هذا التّصنيف أو عدم صحته (وهو ما يقع بعيدًا عن مجال هذه الدّراسة) لن تقدح في مقاربته للإنحاء الحاصل في تلك العناصر، وهو ما يشغلنا في البحث الحاليّ، ومن أمثلة هذه الدّراسة إنحاء حرف الجر (في) كما يمثّله الجدول التّالي[7]:

---

1) see Christian Lehmaan 2011: op. cit., p.2.

2) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

3) يرى «ويلمسن» أنّ هذه المدونة تعتبر صغيرة نسبيًا، وأنّها ربما كانت مناسبة وقت اعتماد دراسة الدّكتور السّيسيّ عليها غير أنّها خضعت للتحديث. انظر:

Von David Wilmsen 2011: On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. p.1 In Orientalistische Literaturzeitung 106 (6): 1-9.

4) see Mohssen Esseesy 2010: Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study. p.339. Leiden: Brill.

5) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.344.

6) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.348.

7) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.186.

Stage	Period	Primary function	Form	Category
0	Pre-Classical	Concrete reference to body part	*fū/fī/fā* 'mouth'	Noun
I	Pre-Classical	Complement of *bi-*; preposition	*bi-fī/fī* 'within'/ in, at	Nominal dependent/ preposition
II	Classical/ Pre-Modern	Preposition	*fī*	Preposition
III	Modern	Preposition/particle	*bada'a fī*	Adprep
IV	Modern	Textual organizer	*fī l-wāqi'* 'indeed'	Clause linker
V	Modern	Existential pronoun	*fī* 'there is'	Pronoun
VI	Modern	clitic	*f-*	Phoneme (e.g., in *fēn* 'where')

ووفقًا لهذا الجدول يمكننا القول إنّ إنحاء حرف الجر (في) مرّ بست مراحل؛ أولها تحوُّل هذه المفردة ||من اسم معجميّ دال على عضو من أعضاء جسم الإنسان (فو – في – فا) > إلى مكمل [اسميّ] لحرف الجر الباء في مثل (بفي)|| في عربيّة ما قبل الفصحى، > ثمّ إلى حرف جر (في)|| في العربية الفصحى وما قبل المعاصرة، > ثمّ إلى أداة في مثل: (بدأ في)||، > ثمّ إلى رابط نصيّ في مثل: (في الواقع)||، > ثمّ إلى ضمير في مثل: "في ناس محترم"، > ثمّ إلى متصل Clitic في مثل: "فين"|| في العربيّة المعاصرة.

فإذا كان المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة معنيٌ بمتابعة كل صيغة لُغويّة عربيّة منذ ولوجها متن هذه اللّغة وحتى انقراضها، وبمتابعتها أيضًا إذا انتقلت إلى لُغة أخرى بالإضافة إلى توثيق وتَأريخ جميع التّغيُرات الّتي تلحق بها، فإنّ نتائج بحوث الإنحاء في اللّغة العربيّة لابد أنْ تلقى عناية القائمين على بناء هذا المعجم.

اللّغة العربيّة في معجم الإنحاء

أقدّم فيما يلي وصفًا موجزًا لمعجم من المعاجم الرّائدة في مجال الإنحاء مبينًا مدى الاهتمام الّذي حظيت به اللّغة العربيّة داخل هذا المعجم، وهو في الحقيقة اهتمام ضئيل جدًا مقارنة بلُغات أُخرى، الأمر الّذي ينبّه الباحثين العرب إلى ضرورة الاهتمام بهذه الظّاهرة وبحثها بحثًا جادًا يستوعب أُسس مقاربتها النّظريّة والتّطبيقيّة بحيث نراعى من خلاله خصوصيّة تطوُّر اللّغة العربيّة ونتيح له قدرًا كبيرًا من الانضباط العلميّ كي تنعكس تلك الخصوصيّة على مرآة المسارات الإنحائيّة (السّليمة والصّحيحة) للصيغ المعجميّة والنّحويّة العربيّة، وأزعم أنّ إنجاز معجم للإنحاء في اللّغة العربيّة خطوة مهمة في سبيل صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة؛ ذلك أنّ وجود معجم الإنحاء - الّذي سوف أعرض له في الصّفحات القليلة التّالية – خير دليل على مكانة الإنحاء وأهميته في الدّرس اللّسانيّ بصفة عامّة وفي الصّناعة المعجميّة بصورة خاصّة.

صدر معجم الإنحاء عن جامعة كامبريدج سنة 2002 بتأليف كل من برند هين Bernd Heine وتانيا كوتيفا Tania Kuteva وبمساعدة فريق ضخم ضمّ أبرز الأسماء الرّائدة في مجال دراسة الإنحاء، تحت رعاية جمعية البحث الألمانيّة Deutsche Forschungsgemeinschaft (German Research Society)، ولمّا كان هذا المعجم يتضمن أمثلة من لُغات ولهجات كثيرة من

مختلف أنحاء العالم (وصل عددها إلى500 لُغة) فقد تمت عنونته بمعجم الإنحاء الشّامل « World Lexicon of Grammaticalization»، هذه الأمثلة - بحسب مقدمة المعجم - نتاج عشر سنوات (1991 حتى 2000م) من البحث والاستقصاء في هذا المجال. ويهدف هذا المعجم إلى أنْ يقدّم للقارئ الوسيلة الّتي يفهم من خلالها كيف ترتبط المعاني النّحويّة المختلفة مع بعضها البعض بطريقة صحيحة ومنظمة بعيداً عن جفاف التّضمينات النّظريّة للإنحاء، وبتعريف القارئ بثروة من المعلومات الّتي تمّ نشرها خلال ثلاثين سنة قبل صدوره بشأن أُصول الصّيغ النّحويّة وتطوّراتها، وتمثّل الجمهور المستهدف بهذه المعلومات في اللّسانيّين الوصفيّين والتّاريخيّين على السّواء، فالتّاريخيّون منهم سيجدون فيها آليّات جديدة بعيداً عن منهج المقارنة وإعادة البناء الدّاخليّة Internal Reconstruction الّتي لم تأتِ - بحسب أصحاب هذا المعجم - بنتائج مناسبة[1]. أمّا الوصفيّون فسيجدون الأسباب الّتي تربط بين المعاني النّحويّة المختلفة، وتلك الّتي تقف وراء ذلك التّرابط بين الصّيغ النّحويّة والمعاني الّتي تعبر عنها، وهذه الثّاوية خلف امتلاك الصّيغ اللّغويّة وظائف معجميّة ونحويّة[2]، هذا بالإضافة إلى أنّ علماء النّفس والأنثروبولوجيّين وعلماء الاجتماع ربما يجدون في هذا المعجم سبيلًا جديداً للكشف عن أنّ هذا النّوع من السّلوك الإنسانيّ المسؤول عن تطوّر الصّيغ النّحوية لا يختلف كثيراً عن السّلوك الّذي يلحظونه في مجال عملهم[3]. كذلك حوت مقدمة المعجم تعريفًا موجزًا بالإنحاء وبنظريّته وبالآليّات الّتي ينطوي عليها[4] ومن ثمّ بالمشكلات الّتي قد تواجه هذه النّظريّة وتلك الّتي واجهتهم في اختيار طريقة مناسبة لصياغة المداخل[5]. وتلا هذا عرض لقواعد استعمال المعجم وإرشاداته ببيان أنواع المعلومات وطريقة تعيين المداخل واللّغات والأمثلة والشّروح[6].

وقد تضمّن المعجم حوالي (400) عملية من عمليات الإنحاء المختلفة الّتي جاءت مرتبة حسب الألفبائيّة الإنجليزيّة وفق ثُنائيّة (المصدر - الهدف Source-Target Lexicon)، بمعنى أنّ كل مدخل يبدأ بالمفهوم أو الوظيفة الّتي يؤديها عنصر (معجميّ/نحويّ) ما في أصل وضعه داخل اللّغة وينتهي بالمفهوم أو الوظيفة الّتي أصبح عليها بعد الإنحاء، ثمّ تُرتب هذه الوظائف ألفبائيًا باعتبار الوظيفة الأصليّة، بعدها يقدّم المعجم تعريفًا لهذه الثّنائيّة/ نوع الإنحاء، ثمّ يسرد مجموعة اللّغات أو اللّهجات الّتي توجد بها هذه الثّنائيّة/ نوع الإنحاء مشفوعة بالأمثلة والشّواهد الّتي تمثّل هذه العملية أو غيرها. ويصرح أصحاب المعجم باحتواء مداخله على نوعين من المعلومات: الأولى: مجموعة معطيات وبيانات من لُغات مختلفة لا تجمع بينها - في الأغلب الأعم - فصيلة أو صلة، والثّانية: تحليل لهذه المعلومات ممثلًا في تصنيفها وتفسيرها التّاريخي[7]، وقد تستلزم بعض المداخل قدراً من التّفصيل أو التّعليق حسب طبيعة عملية الإنحاء الّتي يمثّلها المدخل أو أحد طرفيه (المصدر والهدف) أو كلاهما.

---

1) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: op. cit. p.1.

2) Ibid., p.1.

3) Ibid., p.1.

4) Ibid., p.2-5.

5) Ibid., p.5-13.

6) Ibid., p.13-14.

7) Ibid., p.13.

أمّا عن نصيب اللّغة العربيّة من هذا المعجم -إذا تمت مقارنتها بلُغات ولهجات أُخرى- فهو نصيب ضئيل جدًا، ولعل السّبب وراء هذا يكمن في قيام المعجم على الدّراسات الّتي تمّ إنجازها بالفعل حول الإنحاء والاعتماد على الأمثلة الّتي وردت في ثنايا هذه الدّراسات وأغلبها لم يكن معنيًا ببحث الإنحاء في اللّغة العربيّة، ولم يكن معنيًا باستنتاج الأمثلة من مظانها العربيّة وفق مدونة مناسبة، وربما يعود السّبب أيضًا إلى أنّ دراسات الإنحاء في اللّغة العربيّة المكتوبة بلُغات أجنبيّة - على أهميتها في التّعريف بالظّاهرة والتّنقيب المضني من أجل التماس أكبر عدد من أمثلتها الصّحاح- دراسات ليس لها حظ كبير من الوفرة العدديّة ناهيك عن قطاعيّة مثل هذه الدّراسات، والجدير بالملاحظة هنا أنّ هناك دراسات عديدة حول الإنحاء في اللّغة العربيّة صدرت قبل نشر هذا المعجم بكثير أغفلها المعجم أو تغافل عنها، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك دراسة الدّكتورة «بلقيس النّجار» الصّادرة سنة1991[1]. وبمراجعة مصادر ومراجع هذا المعجم - وقد جمعتُ كل العناوين الّتي تتصل بصورة أو بأخرى بالبحوث الّتي قام عليها المعجم - لم أجد غير دراسة وحيدة أجراها «هين»[2] سنة 1982على اللّهجة النّوبيّة لم يكن الإنحاء أحد مفردات عنوانها، فذهبتُ أُراجع مصادر مداخل هذا المعجم الّتي ذكرت اللّغة العربيّة ضمن شواهدها فوجدتها دراسات معنية ببحث العموميّات اللّغويّة أو بدراسة إحدى اللّهجات العربيّة المعاصرة، وكان للّهجة النّوبيّة النّصيب الأكبر من البحث والدّراسة إلى جانب لَهجات العربيّة في السّودان وسُوريا وفلسطين، والواقع أنّ دراسات الإنحاء بوجه عام - وعلى اختلاف منطلقاتها النّظريّة - تستعين بالواقع اللّهجيّ لاستكمال الصّورة بشأن المسار الإنحائيّ للعناصر المعجميّة موضع بحثها. وعلى أيّة حال، كان من بين أوضح العمليّات الإنحائيّة الّتي أشار إليها هذا المعجم ومثّلت اللّغة العربيّة أحد شواهدها ما يلي:

1- (Allative > Until (Temporal))

تقوم هذه الثّنائيّة (= عملية الإنحاء) على تحوّل الحالة المكانيّة الّتي تدل المفردة عليها (المصدر) إلى حالة زمانيّة (الهدف)، فمصدر هذه الثّنائيّة Allative يشير إلى الحالة الّتي يتمّ من خلالها تعيين منتهى حركة ما ووجهتها[3]؛ كأنْ نقول: ذهبتُ إلى البيت. بمعنى أنّها تدل على الغاية. أمّا هدف هذه الثّنائيّة أو نهاية مسار الإنحاء فتشير إلى حالة زمنيّة، ومثّل المعجم لهذه الثّنائيّة في اللّغة العربيّة بحرف الجر (إلى)[4]، واستعمل المعجم لفظ (العربيّة) دون تخصيص أو

---

1) see Balkees Al-Najjar 1991: Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (3-4): 665-75.

[2]) عنوان هذه الدّراسة:

- Bernd Heine 1982: The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, 3) Berlin: Reimer.

3) R. L. Trask 1993: A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. p.13. London and New York: Routledge.

4) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: op. cit., p.41.

ومرجعه في هذا الشّأن دراسة:

- Martin Haspelmath 1997: From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. p.67. Munich and Newcastle: Lincom Europa.

وصف، ولكنَّه لم يقدّم شاهدًا على هذا، ويمكننا التماس شاهد هذه الثُّنائيّة في مثل قولنا: انتظرتُ إلى الفجر.

2- (Benefactive > A-Possessive)

وتقوم الثُّنائيّة على تحوُّل المفردة من تعيين حالة المستفيد (شخص أو شيء) من حدث الفعل[1] إلى حالة الإضافة والملكيّة[2]، ومثَّل المعجم لهذه الثُّنائيّة في اللُّغة العربيّة بحرف الجر اللّام (لـ)[3]، وكان شاهده على هذا من (العربيّة المعاصرة) قولهم: "للبيت".

3- (Comitative > H-Possessive)

وتقوم على التَّحوُّل من مفهوم المشاركة والمعيّة[4] إلى مفهوم الامتلاك[5]، ومثَّل المعجم لها في العربيّة بالحرف (مع)[6]، ولم يرد شاهد على هذا، ولم يحدد المعجم وصفًا للعربيّة كما فعل في العمليات الإنحائيّة الأخرى، ويمكن أنْ نمثّل لهذه العملية بقولنا: سافرتُ مع محمد ومعي دينار.

4- (Same > Intensive Reflexive)

وتقوم على التَّحوُّل من المطابقة إلى الذّاتويّة (نفس > ذات)، ومثَّل لها المعجم بالعربيّة السُّوريّة[7] رغم وجودها في لَهجات عربيّة مختلفة،

5- (Sit (to sit, to stay) > Habitual)

وتقوم على التَّحوُّل من البقاء والاستقرار إلى الاستمرار، ومثَّل لها بتحوُّل (قاعد) العربيّة السُّودانيّة إلى (قي) في اللَّهجة النُّوبيّة، وعلَّق على هذا المسار بأنَّه جزء من عملية عموميّة يتمّ خلالها إنحاء أفعال الأوضاع Postural Verbs إلى علامات تدل على استمرار الأحداث[8].

واللّافت هنا أنّ هذه أمثلة قليلة جدًا لعمليّات الإنحاء في اللُّغة العربيّة بوجه عام، كما أنّها تضمّنت فقط بعض التَّنوعات اللُّغويّة ولم تتناول كامل التَّنوعات الّتي تنتمي إلى العربيّة، ناهيك عن أنّ هذه العمليّات تحتاج إلى إعادة فحص وفق مدونة مناسبة، فالحروف الّتي تمّ التَّمثيل بها ضمن العمليّات السّابقة لها - إنْ أردنا أنْ يكون مثل هذا المعجم جامعًا شاملًا - أنْ تكون جزءًا أساسيًا في عمليّات إنحائيّة أخرى لم يأت المعجم على ذكرها، أو أنْ تشاركها مساراتها بعض العناصر النَّحويّة والمعجميّة الأخرى، أضف إلى هذا ضرورة التَّنبيه إلى أنّ هناك دراسات تلت تاريخ صدور هذا المعجم تناولت الإنحاء في العربيّة وأسفرت نتائجها عن بعض العمليّات الّتي يمكن أنْ تُضاف إلى رصيد العربيّة من المسارات الإنحائيّة، فدراسة الدُّكتور «السّيسيّ» 2010م - على سبيل المثال - جعلت الثُّنائيّة التّالية:

Allative > Purpose

---

1) Ibid., p.17.

2) Ibid., p.24.

3) Ibid., p.54.

4) Ibid., p.18.

5) Ibid., p.24.

6) Ibid., p.88.

7) Ibid., p.261.

8) Ibid., p.278-9.

ومفادها التّحوُّل من حالة مكانيّة إلى غاية أو غرض ممثّلة بالحرفين: (اللّام – لـ) و(حتى)[1] في قولنا: (1) غادر لبيروت بالقطار، و(2) تسلّق الجبل حتى القمة. ومعنى هذا أنّ مسار إنحاء (اللّام) هو نفسه المسار الخاصّ بـ(حتى) لانتمائهما - رغم اختلاف بعض التّفاصيل الدّلاليّة - إلى مجال دلاليّ مشترك هو القصد إلى تحقيق غرض ما، أضف إلى هذا أنّ (اللّام) الّتي كانت منذ قليل مثالًا للثّنائيّة (Benefactive > A-Possessive) (رقم2 فيما سبق) هي الآن طرف في عمليات إنحاء أخرى مختلفة عمّا تم إثباته في المعجم الشّامل.

وما ينبغي أنْ نقوله في هذا المقام إنّنا بحاجة إلى معجم للإنحاء في اللّغة العربيّة يستتبع كامل صيغها المُنحّاة ومساراتها التّطوُّرية المختلفة متخذًا من ثنائيّة (المصدر والهدف) أساسًا في توزيع هذه الصّيغ على المفاهيم والدّلالات المختلفة الّتي مثّلتها طوال رحلتها التّطوُّرية تمامًا كما هو الحال في معجم الإنحاء هذا. إنّ أهمية وجود معجم كهذا في العربيّة تكمن في رسم صورة كاملة لتطوُّر الصّيغ وتحوُّلاتها على المستوى المقوليّ والوظيفيّ مع التّأريخ لهذا التّحوُّل أو ذاك، هذا الأمر يمثل أحد أهداف المعجم التّاريخيّ، بمعنى أنّ وجود هذا المعجم بصيغة محكمة قائمة على بحث دقيق لظاهرة الإنحاء قوامه مدونة واسعة ممتدة سيدعو القيمين على المعجم التّاريخيّ إلى إعادة النّظر في كثير من المسائل المعجميّة المتعلقة بهذه الصّيغ.

وجملة القول: إنّ لـ«الإنحاء» علاقة قوية بالمعجم التّاريخيّ للّغة بصفة خاصّة، وهي علاقة تفاعليّة؛ بمعنى أنّ الدّراسات الّتي تتبع التّغيّرات الّتي تصيب ألفاظ اللّغة وتراكيبها وفق قواعد الإنحاء فترصد تحوُّلها من ألفاظ معجميّة إلى ألفاظ نحويّة أو من ألفاظ أقل نحويّة إلى ألفاظ أكثر نحويّة أو تقف بها هذه الألفاظ عند مرحلة معينة من مراحل دورتها الإنحائيّة خلال فترة زمنيّة معينة من حياة أي لُغة، فإنّ مثل هذه الدّراسة يمكنها أنْ تزود صانعي المعجم بقائمة مهمة من الكلمات - حتى وإنْ لم تكن قائمة كبيرة العدد - لابد من أنْ يقفوا أمامها ويتأملوها ويتتبعون مراحل ظهورها وتطوُّرها آخذين بعين الاعتبار التّفسيرات الّتي تقدمها دراسات الإنحاء بصفته فرضيّة قابلة للتّفسير والتّبرير، وعلى الجانب الآخر فإنّ وضع معجم تاريخيّ للّغة العربيّة سيسهم بدوره في تقدّم مثل هذه الدّراسات الّتي لا تزال في بداية طريقها إلى اللّسانيّات العربيّة.

قائمة المصادر والمراجع

(أ) مصادر ومراجع عربيّة

د. أحمد العلويّ:

المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة وشروط قيامه، ضمن الإصدار الحالي.

د. أحمد مُختار عمر 2002:

المعجم الموسوعيّ لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرّياض: مؤسسة سطور المعرفة، الطّبعة الأولى.

د. أحمد مُختار عمر 2008:

معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطّبعة الأولى.

ثُريا السُّكريّ عَامِر 2009:

ظاهرة الإنحاء في اللّغة العربيّة: الفعل النّاقص نموذجًا، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيّات.

---

1) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.291.

ابن جنيّ (أبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت: 392ه) :
الخصائص، تحقيق: عبد الكريم بن محمد، القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة، د.ت.
د. جورج متري عبد المسيح 2016:
دورُ المعجم العربيّ في إحياء التّراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، ضمن كتاب «المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، الجزء الثّالث»، إعداد د. منتصر أمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأولى.
أبو حيّان الأندلسيّ712 ه :
الإدراك للّسان الأتراك، مطبعة عامره، 1309.
الزّجاجيّ (أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق ت 337ه):
الإيضاح في عِلل النّحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النّفائس، الطّبعة الثّالثة.
سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: 180ه):
الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، 1988.
د. عبد الرّزاق بنور 2014:
التّلازم الدّلاليّ والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخيّ للّغة العربيّة»، الدّوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، الطّبعة الأولى.
د. عبد العلي الودغيري:
التّأريخ المعجميّ والتّطوّر اللّغويّ، ضمن الإصدار الحالي.
د. عبد المنعم السّيد جُدامي 2016:
المشكلات الثّقافيّة في معجم إلياس بُقطُر، ضمن كتاب (المعجميّة العربيّة: قضايا وآفاق – الجزء الثّالث) إعداد د. منتصر أمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، إربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأولى.
د. علي القاسميّ 2014:
صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، بيروت: مكتبة لُبنان ناشرون، الطّبعة الأولى.
د. علي القاسميّ:
معالجة قوانين التّغير اللُّغويّ في المعجم التّاريخيّ، ضمن الإصدار الحالي.
مكتب تنسيق التّعريب 2002:
المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيّات – سلسلة المعاجم الموحّدة رقم (1).
ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت: 711ه):
لِسان العرب، بيروت: دار صادر.

(ب) مراجع أجنبيّة

Aaron David Rubin 2004:
Studies in Semitic Grammaticalization. PhD Thesis. Harvard University.
Antoine Meillet (Ed.) 1948:
Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) Paris: Champion.
Balkees Al-Najjar 1991:
Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (3-4): 665-75.

Bernd Heine & Mechthild Reh 1984:
Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. Hamburg : Helmut Buske.
Bernd Heine & Tania Kuteva 2002:
On the Evolution of Grammatical Forms. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. Oxford University Press.
Bernd Heine & Tania Kuteva 2004:
World Lexicon of Grammaticalization. Cambridge University Press.
Bernd Heine & Tania Kuteva 2005:
Language Contact and Grammatical Change. Cambridge University Press.
C. H. M. Versteegh 2006:
Arabic Linguistics Tradition. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.1: 434-40. Amsterdam: Elsevier.
Christian Lehmaan 2011:
Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (29): 9-26. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf.
Christian Lehmaan 2015:
Thoughts on Grammaticalization. 3rd Ed. Berlin: Language Science Press.
Elizabeth C. Traugott 2002:
From Etymology to Historical Pragmatics. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.
Frederick J. Newmeyer 1998:
Language Form and Language Function. MIT Press.
Hana Zabarah 2012:
The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.
Ian Roberts 2010:
Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.
Ilse Wischer 2000:

Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

Jerzy Kurylowicz 1975:

Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) Munich: Wilhelm Fink.

Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994:

The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Language of the World. Chicago and London: University of Chicago Press.

Joan Bybee 2003:

Cognitive Processes in Grammaticalization. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.2. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc.

Joan Bybee & Joanne Scheibman 2007:

The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press.

Joan Bybee 2009:

Grammaticization: Implications for a Theory of Language. In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. 345-355.

John van der Auwera 2002:

More Thoughts on Degrammaticalization. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007:

A Glossary of Historical Linguistics. Edinburgh University Press.

Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet 2009:

The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.44. Mouton de Gruyter.

Mohssen Esseesy 2007:

Grammaticalization. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (191-8) Leiden, Boston: Brill.

Mohssen Esseesy 2009a:
Reanalysis. In Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (37-43) Leiden, Boston: Brill.
Mohssen Esseesy 2009b:
Semantic Bleaching. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (160-4) Leiden, Boston: Brill.
Mohssen Esseesy 2010:
Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study.. Leiden: Brill.
Muriel Norde 2012:
Lehmann's Parameters Revisited. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.
Nikolaus P. Himmelmann 2004:
Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.21. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.
Pull J. Hopper 1996:
Some Recent Trends in Grammaticalisation. Annual Review of Anthropology, vol.25:217-36.
Pull J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003:
Grammaticalization. 2nd ed. p.1-2. Cambridge: Cambridge University Press.
R. L. Trask 1993:
A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. London and New York: Routledge.
Roger Lass 2000:
Remarks on (Uni)dierctionality. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.
Von David Wilmsen 2011:
On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. Orientalistische Literaturzeitung 106 (6): 1-9.

(ج) مراجع وردت ضمن مراجع البحث الأساسيّة

- Bernd Heine 1982:

The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, 3) Berlin: Reimer.

- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991:

Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

- Colette Craig 1991:

Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.2: 455-92. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

- Elizabeth Closs Traugott 1982:

From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. 245-71. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

- J. M. Anderson 1971:

The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press.

- James Li 1977 (Ed.):

Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

- Martin Haspelmath 1997:

From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. Munich and Newcastle: Lincom Europa.

- S. Svorou 1993:

The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.